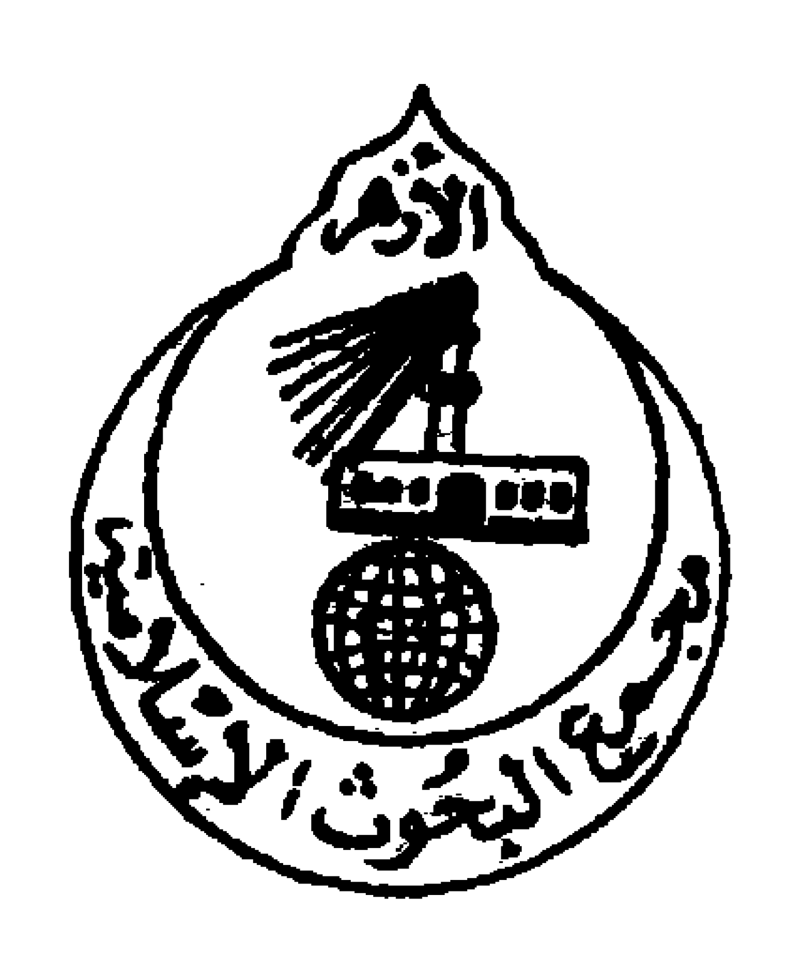

الأزهر
مجمع البحوث الإسلامية
٤٤٨
نظريات الغرب وحضارته
فى
ميزان الإسلام
تأليف
ماهر خليل
السنة السابعة عشرة - الكتاب الثانى
سلسلة البحوث الإسلامية




# نظريات الغرب وحضارته في ميزان الإسلام

تأليف

ماهر خليل

سلسلة البحوث الاسلامية

السنة السابعة عشرة ـ الكتاب الثانى

القاهرة
الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

( وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا )

« صدق الله العظيم »

# اهـــداء

إلى كل فتى وفتاة ..........

إلى كل مخلص ومخلصة .......

إلى كل جاد وجادة فى الطريق إلى الله.......

إلى هؤلاء جميعا ، أهدى هذا العمل المتواضع .......

# شكر وتقدير

يقول الحق تبارك وتعالى فى الحديث القدسى :

« عبدى لم تشكرنى إن لم تشكر من أجريت لك النعمة على يديه »

ومن هذا المنطلق ، يسرنى أن أتقدم بخالص شكرى وتقديرى إلى كل من ساهم فى إخراج هذا الكتاب ، سواء بالرأى الهادف أو النقد البناء ، وكان لتشجيعهم إياى أكبر الأثر وأعظم الفضل فى إتمام هذا العمل والله الموفق .

# تقـــديم

## لفضيلة الدكتور الحسينى هاشم
الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية ووكيل الأزهر

---

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة العالمين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين وبعد :

فإن كتاب ( نظريات الغرب وحضارته فى ميزان الإسلام ) قد تناول بالدراسة والتحليل موضوعا هاما يحتاجه كثير من الدارسين والمهتمين بشئون الإسلام من الشباب وغيرهم . فقد تحدث عن العلم والمعرفة مبينا أن الهدف من العلم والمعرفة فى كل زمان ومكان هو كشف الحقيقة وإظهارها واضحة جلية ، وبين قيمة العلماء خاصة علماء الدين الذين ينيرون الطريق ويوضحون الهدف لكل طالب علم . وتناول أيضا مواقفهم تجاه المستشرقين الطاغين على الإسلام وتعاليمه داحضين إفتراءاتهم بالحجة الدامغة والبرهان القاطع .

ثم بين أن منهج الإسلام هو المنهج الأمثل لقيادة البشرية إلى الكمال والرقى ومهما وضع الغرب من نظريات فإنها لا تجدى شيئا لأنها من صنع الهوى والظن الذى لا يغنى عن الحق شيئا .

كما تناول عدداً من مفكرى الغرب فى ضوء الإسلام ، والغرب وانهيار الحضارة المادية وأن ذلك كله لم يحقق للغرب سعادة ولا أمنا وإنما بات يخشى على نفسه الضياع والهلاك مستدلا على ذلك بأقوال مفكرين غربيين.
وسلسلة البحوث الإسلامية إذ تقدم هذا الكتاب للقراء ترجو من الله العلى القدير أن ينفع به وأن يجزى مؤلفه خير الجزاء وبالله التوفيق .

**د/ الحسينى هاشم**

بسم الله الرحمن الرحيم

# تقديم

لقد تعددت المذاهب الفكرية فى أيامنا هذه تعدداً جعل أصحاب كل مذهب يتفننون فى استمالة الناس إليهم ، بل ودفعهم تعصبهم لمذاهبهم إلى اصطدام بعضهم ببعض والنيل من بعضهم البعض إن بالحق أو بالباطل حتى أهل الكتاب أنفسهم لم يسلموا من هذا الداء « وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ » والسعيد فى الدنيا والآخرة من وفقه الله وهداه إلى طريق الحق- طريق الصواب – لدين الله – الإسلام- فهو المنهج الواضح والصراط المستقيم كما بين ربنا ذلك بقوله : « وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُم عَنْ سَبِيلِهِ . ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » .

ولقد اطلعت بسرور ورضا بالغين على عمل أخى فى الله الأستاذ / ماهر خليل مما حواه هذا الكتاب ، فإذا هو يناقش فى منطقية هادئة هادفة الكثير من فلسفات الغرب – التى جذب بريقها الزائف نفراً من أبناء وطننا لما لهم من نصيب منقوص فى ميدان الثقافة الإسلامية – ويفند مبادئها ويأتى على الكثير من نقاط ضعفها – والواقع أن هذا الموضوع بالغ الاتساع لدرجة يصعب معها الإحاطة بكل جوانبه فى مثل حجم هذا الكتاب ، لكنها خطوة موفقة – إن شاء الله – على الطريق .

تبين لكل ذى عينين حقيقة هامة واستنتاجاً رائعاً سجله ربنا فى قوله سبحانه «ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين» .

أدعو الله أن يجعل ما سطره الكاتب فى هذا المؤلف فى ميزان حسناته يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، وأسأله سبحانه الهداية والتوفيق إنه نعم المولى ونعم النصير »

**د . محمد بلتاجي عبد المقصود**
**كلية العلوم — جامعة طنطا**

# مقدمة

إنه ليسعدنى، بل ويشرفنى أن أقدم إلى قراء المكتبة الإسلامية والمهتمين بالثقافة والحضارة الإسلامية والغربية من شباب العالم العربى والإسلامى هذا العمل المتواضع .

وهو دراسة مقارنة بين الحضارة الغربية متمثلة فى فكر الغرب ، وما قدمه للبشرية من آراء ومناهج ، وأفكار وفلسفات ، وبين الحضارة الإسلامية بمنهجها الربانى وركائزها القويمة من فكر وعلم .

والحقيقة أن النية لم تكن متجهة إلى إصدار هذا الكتاب ، وبصورته تلك وإنما كانت متجهة فى بادىء الأمر لعمل بحث متواضع فى الفكر الغربى والوقوف على السير الذاتية لأصابه من الفلاسفة والمفكرين ، ولكن تشجيع بعض الأخوة والأصدقاء على إتمام تلك الدراسة وجعلها عملا متكاملا ليستفيد منه الجميع وإصرارهم على ذلك ، كان وراء إصدار هذا الكتاب وإخراجه إلى حيز الوجود .

وأحب أن أقرر فى وضوح ، أن هذه الدراسة ما هى إلا مجموعة ملاحظات أو تأملات فى المناهج الفكرية الغربية ، ونواحى القصور بها والسيرة الذاتية لبعض مفكرى الغرب وفلاسفته ، وفى المنهج الربانى فى كماله وشموخه ، والأسس التى قام عليها.

ولقد قدمت لذلك بالباب الأول ، مبينا وشارحا عالمية البحث وطلب العلم ورؤية الإسلام فى ذلك ، ودور المسلم فى البحث والعلم والمعرفة ، ورسالته فى الحياة من خلال هذا الدور ، ثم أوضحت فى الأبواب التالية موقف الإنسان الغربى من الحضارة المادية ، وإعترافه بإفلاسها ، ويأسه من تحقيقها لسعادته المرجوة والمنشودة ، وتحوله عنها ، وبحثه عن مصادر أخرى

للسعادة النفسية وخاصة سعادته الأسرية ،فكان الحديث عن موقف الغرب من الإسلام وخاصة مفكريه وفلاسفته ، وسبب اعتناقهم للإسلام .

ثم أردت أن أوجه دعوة عامة لأبناء الشرق الإسلامى للسير قدما فى طريق الإسلام ، والتمسك بمنهاجه القويم الواضح ، فكان الباب الأخير ختاما لهذا الكتاب لأنهى به تلك الدراسة ، وكان تركيزى على تذكير الشباب — بصفة خاصة — بمجد الأوائل وتراث آبائهم المجيد ، وكيف يسلكون طريق الدعوة إلى الله على وعى وبصيرة .

وأحب أن أقرر بجلاء ، أن تلك الدراسة التى هى حصيلة عام كامل من البحث والاستقصاء والتأمل والملاحظة،لا أدعى لها العصمة من الزلل ، كما لا أدعى لها الكمال ، وإنما هى مجرد وجهة نظر ، أعتقد لها الصواب ، كما أنها تحتمل الخطأ . وما قصدت منها أن تكون الكلمة الأخيرة فى هذا الموضوع وإنما قصاراه أن أخطو خطوات على الطريق ، تتيح رؤية أشمل ونظرة أعمق ومعرفة أدق.

وحسبى فى ذلك النية الحسنة التى أعتصم بها ، ومسئولية المناصحة التى أستشعرها ، وذلك من قول الحبيب — صلى الله عليه وسلم :

« إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى [1]»

وقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الشريف :

« الدين النصيحة .

قالوا : لمن يا رسول الله ؟

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم [١] »

أرجو بهذا العمل المتواضع أن أكون قد وفقت فى عرض الموضوع وما أردت به من النفع العام ، وإضافة شيء جديد ، ولو بالقدر القليل ، إلى المكتبة العربية والإسلامية .

والله من وراء القصد ، وهو الهادى إلى سواء السبيل .

رمضان سنة ١٤٠٤ هـ

يونيه سنة ١٩٨٤ م

---

(١) رواه مسلم .

# الباب الأول

## فى البحث والعلم والمعرفة

أولا : ما يتصف به الباحث أو العالم

ثانيا : المسلم ودوره فى البحث وطلب العلم

---

# الباب الأول

## فى البحث والعلم والمعرفة

### اولا : ما يتصف به الباحث او العالم :

عندما ينطلق الإنسان فى هذه الحياة ، تاركا لنفسه العنان فى طلب العلم والبحث عن الحقيقة ، فان هناك مبدءا هاما وأساسيا يجب ألا ينساه أو يتناساه.

وهذا المبدأ هو أن طلب العلم والمعرفة ، والبحث عن الحقيقة والصواب لا يفرق فيهما بين عالم وآخر ، أو باحث وثان بسبب لون أو جنس أو ديانة بل ينطلق الباحث فى طريقه ، باحثا عن بغيته ، وكل هدفه هو الوصول إلى الحق والصواب بعيدا ما أمكنه كل البعد عن الأهواء الشخصية والنزعات الفردية .

وذلك لأن العلم كل لا يتجزأ من ناحية ، والعلماء فى كل زمان ومكان على اختلاف أوطانهم وأجناسهم ، هدفهم واحد وهو الوصول إلى الحق ، والتنافس الشريف من أجل كشف الحقيقة العلمية أو حل القضايا الفكرية وإظهارها للعالم بأسره من ناحية أخرى.

هذا ناهيك عما يجب أن يتصف به الباحث من بعده كل البعد عن إضاعة وقته فى الجدل السفسطائى ، والمناظرات العقيمة ، فهو أكثر الناس إحساسا بقيمة الوقت ، وأول من يعرف كم هو غال وثمين ، وأكثرهم معرفة ودراية بمعنى قول القائل الحكيم :

« إن الوقت هو الحياة ، فلا تضيع وقتك فتضيع حياتك » .

وكذلك تحليه بحميد الصفات وكريم الخصال ، وهو يسير فى طريقه طريق العلم والبحث والمعرفة — فما نفع علم جاء عن طريق الكذب والاحتيال أو تخلى صاحبه عن الأغراض السامية ، والمبادىء النبيلة التى من أجلها وبها

يطلب العلم وينشد المعرفة ، وما نحن عن قنابل نجازاكى وهيروشيما ببعيد ، فكلنا قد قرأ أو سمع عن الأثر المدمر والمروع الذى خلفته تلك الحماقة البشرية على الشعب اليابانى ، وعن الأضرار البالغة التى قد لحقت به من كافة النواحى ، فقد حدث هذا دون وازع من دين أو خلق ، ولعل خير دليل على ذلك تلك العبارة الشهيرة التى قالها العالم « أوتوهان » ، حينما علم أن تلاميذه قد استغلوا معارفهم وعلومهم فى الفيزياء والطاقة ، فى صناعة القنبلة الذرية التى ألقيت على هيروشيما ونجازاكى حيث قال :

« إنها غلطتى ، لقد علمتهم العلم ، ولم أعلمهم الأخلاق »

نعم .... وصدق قول الشاعر الحكيم :

لا تحسبن العلم ينفع وحده ما لم يتوج ربه بخلاق

نعم .. فعلى ما أعتقد ، فان الغاية الأساسية من طلب العلم ونشدان المعرفة هو تحقيق السعادة للبشرية وخدمة الإنسانية جميعا .

وإلا فما الفائدة إذن من أى علم أو أية دراسة فى أى مجال كان ، إذا لم تساهم ولو بالقدر القليل فى إسعاد العالم ، وإدخال السرور على قلب طفل برىء ، أو امرأة ضعيفة ، أو شيخ هرم .

وكما قال الأولون :

« علم لا ينفع كدواء لا ينجع » .

فالعلوم كلها على اختلاف أنواعها ، وتعدد مجالاتها إنما هى موظفة لخدمة الإنسان — سيد هذا الكون — الذى سخر الله تعالى له الكون بما فيه وكرمه أيما تكريم ، فمنحه العقل وسيلة للتدبر ، وليعمل فكره فى كل ما خلق الله فيه من مخلوقات ، وسواه فى أحسن صورة ، وأكرم هيئة ، ولذا يقول تعالى فى كتابه الكريم :

« وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُم عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا »(١) .

---

(١) الإسراء ٧٠ .

**ثانيا : المسلم ودوره فى البحث وطلب العلم :**

إن المسلم عندما ينحو هذا المنحى فى طلب العلم ، والبحث عن الحقيقة لم يأت بجديد ، أو لم يضع أسلوبا مبتدعا ، أو مستغربا على الأذهان والأفهام بل هو يسير على هذا المنوال مهتديا بتوجيهات نبي الإسلام — صلى الله عليه وسلم عندما يقول :

« الحكمة ضالة المؤمن ، أنى وجدها ، فهو أحق الناس بها [1] »

ومسترشدا بقول الحق تبارك وتعالى — فى كتابه الكريم :

« وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ » [2] .

وملبيا لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما يقول :

« أطلبوا العلم ولو بالصين [3] »

من هذا نفهم أن الإسلام كان واضحا وصريحا أشد ما تكون الصراحة ، وعالميا أيضا فى تأصيل هذا المبدأ فى طلب العلم ، ونشدان المعرفة وفى سبيل البحث عن الحقيقة ، بغية الوصول إليها فى أى علم من العلوم إذ جعل من الحكمة والمعرفة كنوزا ضائعة من العقل ، أو تائهة عن الوجدان ، يهفو إليها الباحث ببحثه وسهره ، ولا يهمه أين يجدها ، وعلى يد من يتعاطها . وإن علمها الباحث وتعرف على أسرارها ، كان المسلم أولى الناس وأحقهم بذلك ، لأنه أقدرهم على استغلالها فيما يفيد ويعود بالنفع على البشرية وخير الإنسانية جميعا .

نعم . . كيف لا يكون هذا هو شأن المسلم فى طلب العلم ، والبحث عن الحقيقة ، ومناقشة القضايا الفكرية المختلفة ، فهو لم يجد فى تعاليم الإسلام ، وأصوله ما يمكن أن يقف حائلا دون نشاطه العلمى ، بل وجد

---

(١) رواه الترمذى وابن ماجه .

(٢) البقرة — ٢٦٩ .

(٣) رواه البيهقى فى الشعب .

فى القرآن الكريم وفى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ما يدفعه إلى ذلك دفعا .

وأحب أن أسجل هنا تلك المناظرة الجميلة ، التى تبين هذا المفهوم جيدا وتوضحه ، إنها مناظرة بين أعداء العلم منذ ألف عام عندما صاحوا فى وجه أبى الريحان البيرونى صاحب التحول العلمى فى التفكير الفلكى ، كما قال عنه المستشرقون الأوروبيون :

لقد صاحوا فى وجه البيرونى قائلين :

ما فائدة علم الجغرافيا الذى ابتدعته وتنادى به...

قال لهم :

« تسألونى ما الفائدة فى الإحاطة بالمسافات بين الممالك ، لعلكم لم تقرأوا القرآن » ؟؟

وعندما سمع الجهال البيرونى يتحدث عن القرآن ، وكانوا قد اتهموه بالزندقة صاحوا فى وجهه :

« وما شأن القرآن بالمسافات بين الممالك ومعرفة المسالك »

قال لهم :

قال تعالى : « قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ... [(١)] » .

وقال تعالى : « أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم [(٢)] » .

---

(١) الأنعام – ١١ .

(٢) غافر – ٨٢ .

ويقول سبحانه :

« فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ . . . »[١] .

ثم قوله سبحانه أيضًا :

« فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ . . . »[٢] .

ومضى البيرونى يقول للجهال — أعداء العلم — من عالم زمانه :

« ألم تقرأوا كلمات ربكم ، وسائر أوامره بالسير والسرى للاعتبار وللغزو والحج والهجرة ، وللتصرف فى النصيب من الدنيا الذى لا ينسى وغير ذلك مما لا يتحقق بغير الأسفار الشاقة ؟؟

ثم ذكرهم بالدليل الذى أنقذ خالد بن الوليد وجيشه من الضياع فى تيه الصحراء ومسالكها ، لأنه كان له معرفة بعلم الجغرافيا[٣] .

إن المسلم ليعلم تمام العلم أن طلب العلم فريضة مثل الصوم والصلاة والزكاة تماماً وذلك من منطلق فهمه لقول الرسول الكريم ﷺ :

« طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة[٤] »

نعم .. فهو يدرك أن قضية الاهتمام بالناحية العلمية هى قضية تعبدية بالدرجة الأولى وليست مجرد الحصول على شئ من القوة أو الغلبة أو التسلط فى هذه الدنيا .

كيف لا يكون هذا هو حال المسلم ، أو سبيله مع البحث والمعرفة

---

(١) الدخان — ٢٣ .

(٢) هود — ٨١ .

(٣) من مقال للأستاذ على الدالى بعنوان « الحضارة الإسلامية والوصول إلى القمر » نشر بجريدة الجمهورية بتاريخ ٢٢/٢/١٩٨٤ .

(٤) رواه أحمد .

وهو يرى كيف أن الإسلام – بالإضافة إلى ما تقدم – قد رفع من شأن العلم وكرم العلماء أيما تكريم ، فهو يعى تماماً قول الرسول الكريم ﷺ :

« من سلك طريقاً يلتمس فيه علما ، سهل الله له طريقاً إلى الجنة وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم ، رضا بما يصنع [١] »

ويقرأ أيضاً قوله تعالى فى كتابه الكريم :

« يرفع الله الذين آمنوا منكم ، والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير [٢] » .

أنظر معى – أيها القارئ الكريم – ما من دين أو مذهب وضعى قد قدر العلم والعلماء ، ووفاهم حقهم من التجلة والاحترام والتكريم مثل ما فعل الإسلام .

ونخلص من ذلك أنه ليس بغريب إذن ، أن يسلك المسلم طريق البحث والدراسة وأن يسبر أغوار العلم ، باحثاً عن الحقيقة ومشتاقاً إلى الحكمة والمعرفة وإن بعد مكانها ، وتفاوتت جنسيات وديانات من يتلقى عنهم العلم ، فالناس جميعاً فى طلب العلم سواء .

---

(١) رواه أبو داود والترمذى .

(٢) المجادلة ١١

# الباب الثاني

## لماذا هذا الكتاب ؟

---

أولا : الشباب وقضية الايمان .

ثانيا : حلول لقضايا الشباب .

ثالثا : دور الأزهر .

رابعا : الاعلام ودوره فى حماية القيم والحفاظ على الاسلام :

(أ) د. لويس عوض وموقفه من جمال الدين الأفغانى .

(ب) موقفه من عباس محمود العقاد .

(ج) السينما والتليفزيون واثرهما فى حياة الناس .

# الباب الثانى

## لماذا هذا الكتاب ؟

---

**اولا : الشباب وقضية الايمان :**

إنطلاقاً من تلك المبادئ السابقة ، وبحثاً عن الحق والحقيقة واشتياقاً إلى المعرفة ، وحباً للحكمة والحكماء ، قمت بهذا العمل المتواضع لإلقاء نظرة متأنية وفاحصة على فكر هؤلاء المفكرين والفلاسفة . أعنى مفكرى وفلاسفة الغرب — الذين ينظر البعض إليهم على أنهم هداة البشرية وقادة الإنسانية فيطلبوا منا أن نتلمس طريقنا فى الحياة على هدى من آرائهم ونور أفكارهم .

وشيء آخر ، استرعى انتباهى ودفعنى إلى هذه الدراسة دفعاً ، وذلك عندما وجدت أن أبناء الشرق الإسلامى طالما تشدق الكثيرون منهم بأسماء هؤلاء الفلاسفة والمفكرين وتحدثوا عنهم فى زهو وخيلاء مشدوهين بآرائهم ومعتقداتهم ، مع يقينى التام وثقتى الكاملة أنهم لم يعرفوهم عن كثب ، وإنما سمعوا عنهم كأسماء براقة لامعة فى سماء الفكر وعالم الفلسفة وكفى ..... ولم يأخذوا فى اعتبارهم تلك الحكمة القائلة :

« ليس كل ما يلمع ذهبا ، بل غابت عن وعيهم تماماً » .

نعم ... وجدت أن هناك قلة من أبناء الشرق الإسلامى يفعلون ذلك ليس إلا حباً فى إظهار الفرنجة والتغرب ظناً منهم ، أنهم بذلك يستبرأون من كل ما هو إسلامى أو شرقى الذى أصبح من وجهة نظرهم تخلفاً ورجعية — وهم بذلك يظهرون التقدم والحضارة والتباهى بالمعرفة ولكن أى معرفة هذه ؟ وإلى أى شئ قادتهم .. ؟؟

إننى لألتمس العذر لهذا النفر القليل من أبناء جيلى من الشباب وأقول القليل .. نعم فما تزال وستظل الفطرة بنقائها وصفائها تدوى وتصرخ فى أعماق الكثرة الكثيرة منهم فالخير فيهم وبهم دائماً فهم معذورون لأنهم لم

تقدم إليهم المعرفة التامة والكاملة لفكر الإسلام ومفكريه بصفة عامة سوى النذر القليل الذى لا يسمن ولا يغنى من جوع .

وماذا كانت النتيجة .... ؟

ما كان من الشباب إلا أن انطلق يدق أبواب مصادر أخرى للعلم والمعرفة بحثاً عن الصواب والتماساً للسعادة من ناحية وربما حبا فى الفرنجة وإظهار التغرب من ناحية أخرى .

نعم ... أليست هذه هى النتيجة الطبيعية لذلك ؟ وماذا ينتظر منه غير هذا .. ؟

إنه طاقة تريد – أولا بد لها – أن تتفجر وحماس كامن فى الصدور يبحث عن المبدأ ، ويتطلع إلى الهدف الذى من أجله يريد أن يعمل وأن يبدع .

إن الشباب فى أى مجتمع أو أية أمة ؛ إنما هو بمثابة العمود الفقرى والدرع الواقى لها والثروة الحقيقية لتقدم هذا المجتمع ، أو تلك الأمة فواجب المجتمع نحوه بل من حقه عليه ألا يتركه واقفاً فى مفترق الطرق حائراً لا يدرى أى طريق يسلك ... وأى سبيل يختار !!

أيهم يقوده إلى الحق والصواب .. وأيهم يقوده إلى الضلال والدمار ..

إننى أقول ذلك كواحد من أبناء هذا الوطن ، وشاب عاش ويعيش بكل ما فى قلبه من حب ، وما فى عقله من فكر ، محباً لهذا البلد وغيوراً عليه وبالتالى محباً لأمته العربية والإسلامية التى هى عالمه أو مجتمعه الكبير ، كثيرا ما كان يحز فى نفسه ، ويعتصر الألم قلبه كلما نظر إلى الشباب من حوله ورآه تائهاً حائراً يعيش فى قلق وضياع ،ولا يجد له متنفساً من ذلك،أو هرباً منه، سوى محاولة قتل الوقت ، بأية وسيلة وفى أى سبيل ويعيش حياته وكأنه يستحث الخطأ إلى القبر ..

إن الذى ينفطر له القلب حقاً أن يشعر الإنسان من أبناء جيله من الشباب أو يحس فيهم أن الشخصية السوية المطاوبة لم يعد لها معالم أو ملامح تميزها أو تشخصها .. حتى أصبحنا لا نستطيع التمييز بين شاب وآخر إلا نادراً .

نعم .. لم يكن يؤلمنى شيئ قدر إحساسى بضياع الذات لدى الناس عامة والشباب منهم خاصة ، ولا يزال يلازمنى — حقيقة — هذا الشعور وذاك الإحساس وإن خفت حدته فى وقتنا هذا إلى حد ما .

ولا أعنى ( بالذات ) هنا ، أنها تلك الذات البشرية التى تتكون من مقومات إنسانية عامة يتساوى الناس جميعاً فيها ، وإنما أعنى بها المقومات الفكرية والاعتقادية ومن ثم المقومات السلوكية التى نسجت ذاتيتنا الحضارية فى يوم ما ، وأورثتنا — عندما تمسكنا بها — كل ما كنا نملكه إلى الأمس القريب من الثروات الهائلة والقوة الراسخة والحضارة العظيمة التى لا نزال نتباهى بأمجادها الدابرة ونترنم بحكاياتها فى كل حفل ومناسبة ونسميها ... بالتراث .

إننى أقولها بكل وضوح وصراحة ، ان العيب ليس فى الشباب فحسب ولم يكن فى يوم ما ولن يكون فيهم أبداً ... فهم على ما جبلوا عليه من قيم ،وما فطروا عليه من أخلاق ومبادئ ،وما تشبعوا به من خصال وطباع ورثوها عن الجيل السابق لهم ، لأن الشباب هم نتاج البيئة وحصاد المجتمع بكل مافيه من إيجابيات وسلبيات .

وكما قال الشاعر العربى قديماً :

وينشأ ناشئ الفتيان فينا     على ما كان عوده أبوه

نعم ... إنها السياسات المتناقضة أو التيارات الفكرية المختلفة والمتباينة ، التى توالت وتعاقبت أحداثها عليه الواحد تلو الآخر وللأسف كان الشباب هو الضحية الأولى لكل هذا ، إنه هو الذى تحمل عبئ هذه السياسات

وأخطائها ، وتلك التيارات الفكرية وفلسفاتها التى كانت أبعد ما تكون عن الصواب وأقرب ما تكون إلى الحيرة والضلال ، حتى جعلته لايرى فى الحياة سوى المقاييس المادية معياراً لكل ما يراه وما تقع عليه عينه .

كثيراً ما كنت أسأل نفسى هذا السؤال وأتساءل فى شيء من الدهشة والعجب :

ما ذنب هذا الشباب الطاهر النقى فى كل هذا .. ؟

هل هى ضريبة لابد وأن يدفعها كل جيل من الشباب فى تحمل أخطاء الجيل السابق له ؟

وأين التأثير المباشر لقيم هذا البلد العظيم وتراثه المجيد فى نفوس أبنائه ؟

هل سبب ذلك راجع إلى التناقض الغريب والعجيب بين ما يجب أن يكون وما هو كائن فعلا ؟

أم ماذا ؟

وأترك الإجابة عن هذه التساؤلات لك أيها القارئ الكريم فأنا أعترف صراحة أننى لم أصل إلى سبب واضح ومحدد لذلك .....

وكثيراً ما كنت أشعر برأسى يدور وبعقلى يكاد أن يتوقف عن التفكير كلما خضت غمار تلك التساؤلات محاولا أن أن أصل إلى حل لها راجياً أن أنتهى إلى رأى ثابت ومؤكد فيها ، ثم ينتهى بى الأمر إلى رأى واحد لا ثانى له ، أو كنتيجة أخيرة — وهى أنه من المؤكد أن غياب القدوة التى يلتمسها الشباب — بطبيعته — فى كل مجالات الحياة لمن أكبر العوامل أهمية وأكثرها خطورة فى تكوين وتنشئة الشباب على أكمل وجه وعلى أحسن صورة أو كما ينبغى أن يربى على حب الوطن والامتثال لتعاليم ديننا الحنيف .

**ثانيا : حلول لقضايا الشباب :**

وإن كان هناك من حل لمشكلات هذا الشباب ، فإننى لا أرى حلا أو علاجاً لذلك سوى أن تعمل كل أجهزة الدولةومؤسساتها المختلفة بكل جهد

وإخلاص على تحصين الشباب ، وذلك بتوعيته بالقدر الكافى وبالأسلوب التربوى الملائم لمجابهة كل التيارات الفكرية الهدامة ومحاربة كل الأفكار والفلسفات الخاطئة التى لاهم ولا مقصد لأصحابها أو عملائها فى الشرق سوى أن يعيش الشباب فى حيرة وضياع وتقويض بنيان الأمة العربية والإسلامية بعد ذلك على المدى البعيد .

**ثالثا : دور الأزهر :**

إن الأزهر بعلمائه الأجلاء وفقهائه الأفاضل يجب أن يكون لهم دور — وأى دور — فى هذا الصدد ، وذلك بأن يشرحوا ويوضحوا للشباب كل ما يحيط بهم من مزالق فكرية ومفاهيم خاطئة للكثير من أمور دينهم ودنياهم وذلك إنما يكون عن طريق الحوار معهم ، ومناقشتهم رأياً برأى ، وفكراً بفكر حتى يسيروا بهم طريقاً سوياً وسطا بين الإفراط والتفريط ، ويبتعدوا بهم عن المغالاة والتطرف وحب الانعزالية عن المجتمع الناجم عن شعورهم بالغربة فى مجتمعنا، وذلك لما فيه من مظاهر لا تتفق مع الإسلام وتعاليمه .

نعم يجب أن يقوم علماء الدين فى الأزهر والأوقاف بدورهم الرائد والعظيم كاملا وكما ينبغى وأن يتسلحوا بما فيه الكفاية بالكثير من العلوم والمعارف وأن يحملوا من الحماس ما يدفعهم إلى أداء الواجب وأن يضعوا أنفسهم موضع القدوة الصالحة ، وألا تدور أحاديثهم وخطبهم فى دائرة الخرافات والأساطير والبدع ..... ولا يكون حسب البعض منهم من الجماعة المسلمة أو مجتمعه الإسلامى طريقة صوفية يدور فى فلكها ويستفيد من ورائها وألا يضع نفسه تحت الأمر والإذن ؟؟

وإننى لأذكر هذا البعض من العلماء بمقولة الإمام الشافعى — رحمه الله تعالى ورضى عنه — عندما قدم إلى مصر وقال له عبد الله بن عبد البر :

« يا إمام ، إذا أردت المقام بمصر فليكن لك قوت سنة ومجلس من السلطان تتعزز به » .

فماذا قال له الشافعى ؟

« لقد أجابه بمقالة سجلت بأحرف من نور فى تاريخ الفكر الإسلامى ويجب أن تظل عالقة بذهن كل عالم ورع تقى — لقد قال له :

« يا أبا محمد من لم تعزه التقوى فلا عز له ، ولقد ولدت بغزة وربيت بالحجاز ولم يكن عندنا قوت يوم ، وما بتنا جياعاً قط . » .

وكان من حديثه ناصحاً لأهل العلم وطلابه فى زمانه :

« إن زينة العلم فى الورع والحلم وجمال العلماء فى كرم النفس ولا عيب فى العلماء أقبح من رغبتهم فيم زهدهم الله فيه . » .

نعم .. فان غنى العالم فى صدره وروحه ، وثروته فى فكرته ، هى أغلى من كل كنوز العالم مجتمعة ، لأنها ثروة روحية باقية ، أما ثروات الناس فهى مادية زائلة وماذا يفيد الغنى ما له فى ميزان المثل والقيم ؟ .

أود أن أقول إن العلم الحقيقى الذى تحملونه فى صدوركم ثروة لا تدانيها ثروة وعزة لا تدانيها عزة ، وكم من غنى أذله حرصه على ماله وأهمه أمر المحافظة عليه وأرقه الخوف من الخسران أو فوت الربح والطمع فى جمع المزيد .

وأقولها خالصة لعلماء أزهرنا العظيم ، أن العالم من علمه فى عزة ومنعة وفى لذة روحية لا تدانيها لذة ، وبخاصة حين يشعر بجدوى علمه ونتائج بحثه وهو فرح بالحق تياه بالمعرفة فى غير عجب — وإننا لنذكر مقالة واحد من السلف الصالح حينما قال :

« نحن فى لذة لو أدركها الملوك لقاتلونا عليها بالسيوف » .

إن العالم الذى يشعر بالعزة ويدرك معناها ، هو الذى يعرف للعلم حقه فلا يدنسه بالأطماع ولا يشوهه بالآثام ولا يحقره بالامتهان ، هو الذى يعمل بعلمه ويطابق قوله فعله لا يتناقض فيصبح أمثولة بين الناس .

هو الذى يدرك أنه بعلمه رفعه الله منزلة عالية ودونها كل منازل الأرض فهو النجمة المحلقة التى يتطلع إليها الناس والكوكب الساطع الذى تشرئب له الأعناق .. بل هو الشمس المشرقة التى تعيش فى ضوئها الكائنات ، أنه كما يقول الشاعر :

ما الفخر إلا لأهل العلم أنهم　　على الهدى لمن استهدى أدلاء

فالعالم الحق هو الذى يدرك ذلك ويدرك معنى قوله عليه الصلاة والسلام « فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم »

إن فى هذا الأثر لفتة كريمة بارعة ترفع قدر العالم إلى منزلة أدنى ما نكون من منزلة النبوة المشرفة التى تأخذ بأيدى الناس من الظلمات إلى النور والتى تستمد عزتها من عزة الإله القادر فتستنصر به ، فلا يرهبها سلطان ولا يزلزلها بهتان ، ولا يضعفها إغراء ، ولا يغويها استعلاء ، ولا يداخلها أو يخالطها عجب .

إننى على ما أعتقد ، بهذا الفهم كان العلماء سادة الدنيا وبهذا الفهم رفض الإمام مالك أن يسعى إلى بغداد ليقرأ عليه هارون الرشيد الموطأ — كما حدث بذلك الشيوخ — بل قال حين طلب منه ذلك :

«العلم يسعى إليه ولا يسعى العلم إلى أحد»فقصده هارون الرشيد فى المدينة ونصب له كرسيا ليجلس عليه فى مسجد رسول الله ﷺ وخرج مالك إلى حلقته ورأى هارون مستويا على الكرسى فى المسجد وجلس مالك على الأرض ليقرأ الحديث كعادته — فكان أول ما قال : قال رسول الله ﷺ :

من تواضع لله رفعه الله ، ومن تكبر وضعه الله [1] »
فنزل هارون وجلس على الأرض مثل بقية الناس [2] .

---

(١) رواه ابن ماجه .

(٢) مجلة الوعى الإسلامى ومن مقال للأستاذ/عبد الحفيظ القوفى بعنوان«عزة العلم وكرامة العلماء» العدد ٢١٤—١٩٨٢م .

هذا درس فى عزة العلماء حين يعرفون قدر النعمة التى أفاءها الله عليهم فلا يعرضونها للابتذال ، وماذا يتبقى فى الدنيا إذا ضاعت كرامة العلم . .
هذه العزة التى لبس تاجها العلماء الأفاضل هى التى مكنتهم من أن يكونوا قدوة لغيرهم فى الخير ومنارا يهتدى به الحكام فى الإصلاح والعدل ومكنتهم من أن يجهروا بكلمة الحق لا يخشون فى الله لومة لائم ، حتى قصدهم الخلفاء واستنار بهم الأمراء . . واستضاء بنورهم الوجهاء .

وهذه العزة هى التى حلتهم بالشجاعة الأدبية ، فلم يخافوا بطش الحكومات الجائرة ولم يضعفوا أمام سطوة الجهل وجبروت الطغيان مثل سعيد بن جبير — رضى الله عنه — وموقفه البطولى الرائع أمام الحجاج بن يوسف الثقفى .

نعم . . هكذا كانت عزة العلماء ، لم تهن ولم تضعف ولم تنحن أمام الإغراء وما أكثر ما فى خزائن الأمراء والحكام ، وامتدت بذلك قامة أولئك العلماء حتى تضاءلت أمامها القامات .

إنها العزة التى يقول الله عنها فى كتابه الكريم :

« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين »[1].

هذا بالنسبة لدور الأزهر وواجب علمائه الأفاضل تجاه الشباب خاصة

**رابعا : الاعلام ودوره فى حماية القيم والحفاظ على الاسلام :**

أما بالنسبة لدور الإعلام فى هذا الصدد ، فأقول أن وسائل الاعلام بكافة أنواعها لها دور هام وخطير فعلى سبيل المثال :

« يجب ألا يسمح لكاتب أيا كانت مكانته أو ثقافته أن يتحدى مشاعر الناس عامة والمسلمين خاصة فيصدمهم فى عقائدهم الراسخة السليمة

---

( ١ ) المنافقون — ٨

وأخلاقياتهم القويمة بكتابات مسمومة وموتورة ، فى أية صحيفة أو مجلة أو كتاب وأن يتم ذلك دون حجر لرأى صائب أو فكر مستنير .

### (ا) د. لويس عوض وموقفه من جمال الدين الأفغانى :

فلكم كانت دهشة المسلمين عامة والمثقفين خاصة فى مصر دهشة بالغة عندما علموا بما نشر من مقالات لكاتب مصرى معروف وهو الدكتور لويس عوض — يتهم فيه واحدا من عمالقة الفكر والثقافة الإسلامية وأحد مجددى الإسلام وهو السيد جمال الدين الأفغانى بتهم شاذة وأغرب من أن يصدقها عاقل أو مثقف وأبعد ما تكون عن مفكر مثل جمال الدين الأفغانى.

لقد اتهمه بالزندقة والالحاد والعمالة لأعداء وطنه ودينه من الإنجليز وطعن فى نسبه وموطنه من خلال كتابات مسمومة وموتورة حاقدة على الإسلام وأبنائه ومليئة بالاغلوطات الدينية واللغوية والتاريخية والجغرافية.

وأحب أن أقول إن المصيبة لم تكن مفجعة إلى هذا الحد ، فهذا ليس بجديد على الدكتور لويس عوض ، ولكن الدهشة كانت بالغة من إصدار هذه الافتراءات والأكاذيب ونشرها على صفحات الجرائد حتى ولو كانت تلك الكتابات والمقالات خارج مصرنا العزيزة ، إذ كيف يسمح لكاتب أن يتحدى مشاعر المسلمين ويطعن فى تاريخ ومجد أبناء الإسلام من الأئمة والمفكرين . . !!

لقد نشرت تلك المقالات بصورتها تلك وحالتها السيئة هذه ، ولم تحرك ساكنا من مسئولى الإعلام فى بلدنا الحبيب .

فبالرغم من أن حديثه كان مختصا بواحد من مفكرى الإسلام ومجدديه وكان واجبا عليه أن يتحرى الصواب ويتوخى الصدق فيما كتب على الأقل من الناحية الدينية واللغوية وفى انتقاء المصادر التى أعتمد عليها، إلا أننا نجده لا يفرق بين الحديث الشريف والآية القرآنية الكريمة و ورد هذا الخلط على لسان الأفغانى !!!

فنجده يورد قوله تعالى « إنما المؤمنون إخوة » الحجرات — ١٠ على أنه حديث شريف ، وكأن الأفغانى بعلمه وثقافته الإسلامية الواسعة لا يستطيع أن يفرق بين الآية الكريمة والحديث الشريف ....

ولا يدرى هل خراسان بلدة إيرانية أم تابعة لأفغانستان .

ومع أن الرجل صاحب مؤلف فى فقه اللغة إلا أنه مع علمه الغزير لم يستطع أن يتبين مدلولات الألفاظ فى اللغة ويتفهم معانى المفردات من خلال حديثه عن نسبة الأفغانى زورا وبهتانا إلى ( الناصبيين ) أى الذين ناصبوا الإمام على بن أبى طالب العداء وخرجوا عليه ، فنجده ينسبه إلى « النصيبيين » نسبة إلى معركة نصيبين ، مع العلم أنها مدينة بالشام .

إننى سوف أكتفى بهذا القدر ولن أزيد على ذلك وأحيلك أيها القارىء الكريم إلى كتاب « جمال الدين الأفغانى .. المفترى عليه » للأستاذ الدكتور محمد عمارة — طبعة دار الشروق ، وإلى ما كتبه الأستاذ / أحمد بهجت على صفحات جريدة الأهرام ردا على تلك الافتراءات [1] .

**(ب) موقفه من عباس محمود العقاد :**

وموقف آخر للدكتور لويس عوض عندما كتب فى مجلة المصور عن تأملات له فى فكر وأدب العقاد الذى يعد عملاقا من عمالقة الفكر العربى وواحدا من الرواد القلائل الذين استطاعوا أن يقيموا جسورا قوية بين فكرنا العربى والفكر العالمى واستطاع بدم القلب ووهج الفكر وصلابة الفولاذ أن يهضم ثمرات المطابع العربية والعالمية ويتخذ منها موقفا نقديا .. يرفض أغلبها ويتفق مع أقلها ويكون لنفسه رأيه الخاص .. العقاد الذى شغل حياتنا الفكرية لأكثر من ثلاثة أرباع قرن فى حياته أو بعد مماته .. تقدمه لنا تأملات الأستاذ الدكتور لويس عوض فى صورة لم نعرفها ووضع الرجل فى إطار غريب وابعد ما يكون عن فكر وشخصية العقاد ..

---

( ١ ) كان آخرها فى ١٠/٢/١٩٨٤م .

فنجده يدعى أن العقاد قد انتهى فى عام ١٩٣٧ وليس كما هو معروف عام ١٩٦٤ ... وأنا أعجب كما يعجب غيرى عن مقالته تلك ، لأن العقاد فى هذا العام (١٩٣٧) قد أنتج أو أصدر كتابه السابع عشر فى سلسلة مؤلفاته إلى جانب ما كان ينشر له من أحاديث صحفية وما يسمع من أحاديث إذاعية وندوات فكرية .. فقل لى بربك كيف يكون الرجل قد انتهى .. ؟

ثم يتهم العقاد بأنه لم يكن فيلسوفا بل متفلسفا وليس ذلك وفقط بل مفكر تلفيقى لعديد من الفلاسفة الألمان ، وياله من إهانة لفكر العقاد وثقافته

وعندما يريد الدكتور لويس عوض أن يتحدث عن العقاد ككاتب ومفكر إسلامى نجده يحاول جاهدا أن يبعده عن ساحة التفكير أو الفكر الإسلامى فعندما تحدث عن دلالة أو مفهوم بعض الكلمات عند العقاد مثل الحق والخير والجمال.. نجده يجعل لها بديلا يبعدها عن التفكير الإسلامى ويقربها من التفكير الحديث ، وثالوث المسيحية مع أنها كلمات متداولة فى التفكير الإسلامى فالحق صفة من صفات الله حيث نردد ويردد الجميع بقول الحق سبحانه وتعالى ... وكذلك الجمال « فالله جميل يحب الجمال » والقوة مشتقة من اسم من أسماء الله الحسنى « القوى » ثم نجده يصف العقاد بصفات الألوهية والكهنوتية ويصوره على هذا النحو وإن كان العقاد لم يصف نفسه أو لم يصفه أحد فى يوم ما بصفة من تلك الصفات فنجده يقول فى إحدى عباراته « العقاد كالإله المعطى » وفى موضع آخر : « .. كان فى القاموس شبه الدينى الذى يستخدمه العقاد وما يوحى بهذه الكهانة .. » ويصفه مرة أخرى أنه كاهن يلقى تعاويذه .... » .

ويقول الدكتور لويس : عند العقاد أن لكل من الأحياء نصيبا مختلفا من جوهر الحياة بغض النظر عن إختلافاتهم أو اتفاقهم فى عرض الحياة ، وهى نظرية تناقض الفكر الدينى التقليدى وهو أننا جميعا أولاد آدم وحواء (كلكم لآدم وآدم من تراب) فى حين أننا لو رجعنا إلى مصادر الفكر

الإسلامى ومنها كتب الأستاذ / خالد محمد خالد عن الإنسان فى الإسلام نجد أن لا تناقض بين كلام العقاد والفكر الدينى أو الحديث النبوى الشريف ، فالبشر متساوون فى القيمة وأن اختلفوا فى القدرات والكفاءات وهذا هو ما ذهب إليه العقاد فى إسلامياته وما تضمنته كتبه من رأى وفكر .

ويذكر الدكتور لويس أن مشكلة التجاوزية بدأت أولا فى علم الأبستمولوجيا ( المعرفة ) حين ذهب هيوم ( ١٧١١ — ١٧٧٦ ) إلى التشكيك فى قدرة العقل الإنسانى على إدراك حقيقة الأشياء .

والثابت فى تاريخ الفلسفة أن ديكارت ( ١٥٩٦ — ١٦٥٠ ) كان أول من تشكك فى قدرة العقل على المعرفة من الأوروبيين ومن بعده جون لوك ( ١٦٣٢ — ١٧٠٤ ) الذى قال : أن عقولنا لم تخلق كبيرة كالحق ، ولا ميسرة لإدراك الأشياء جميعا والأخلق بنا أن نتدبر ضعفنا وحاجتنا جيدا وفيم كان خلقنا وماذا يسعنا أن نعمل[1] » .

ثم إن هناك حجة الإسلام الغزالى ( ١٠٩٥ — ١١١١ ) الذى سبق كلا من هيوم وديكارت فى هذا .. فلماذا تعمد الدكتور لويس الحديث عنه أو الإشارة إلى ذلك ولو من بعيد وهو يعلم ما تمليه على العالم أمانته العلمية وما يجب أن يتصف به من توخى الصدق فى البحث عن الحقيقة والصواب .. ويذكر أيضا « أن العقاد كان يرفض الإيمان المعلق على الثواب والعقاب فى الآخرة » وفى الحقيقة أنه من الصعب الاستدلال على ذلك بالنسبة للعقاد وخاصة فى كتاباته فى العقيدة والدين وفهمه لمسائل الإيمان وشروحها .. ففى هذه الكتابات يؤكد صاحبها أن الإيمان لابد وأن يكون هدفا فى ذاته وليس لأنه سوف يؤدى إلى الجنة فى الآخرة .

ثم يفاجىء الدكتور لويس جمهور المثقفين فى مصر برأى شاذ وغريب جدا وهو أن العقاد يعتبر قاعدة صلبة للعلمانية المصرية بمصر فى عالم ما بين

( ١ ) أعلام الفكر الأوروبى من سقراط إلى سارتر — ج ١

الحربين ، وما بين الثورتين ... بالله عليك أيها القارىء الكريم كيف لمسلم أو أى مثقف أو مفكر حر أن يقتنع بذلك .. ؟

كيف وأن العلمانية تعنى النظر إلى الدنيا بعيدا عن الدين ، بينما لم يثبت أن العقاد تحدث إلى الدنيا كذلك .. وحتى فى سياق العبارة يقول الدكتور لويس أن العقاد يعتبر عظمة الدين هى آيتنا على عظمة الله فكيف إذن يكون علمانيا !! .

وإننى أتساءل ألا تشفع إسلاميات العقاد وما حوته سلسلة عبقرياته الفريدة فى أسلوبها وما بها من فكر إسلامى ناضج وسليم فى إخراجه من دائرة العلمانية التى وضعه فيها ووصفه بذلك ؟ ثم إننا لا نستطيع أن نقول إن مفهوم العلمانية ومدلولها قد غاب عن واحد مثل الدكتور لويس عوض أو أنه قد وصل به الحال لأن يلقى الاتهامات جزافا ودون أى دراسة لفكر العقاد وقراءة لكل ما كتب .. والدكتور لويس يعتبر العقاد ضمن المدرسة المثالية ، ثم يقول :

« إذا أردت أن تعرف الفرق بين الله فى الفلسفة المثالية والله فى الفكر الدينى لم تجد إختلافا حقيقيا بينهما إلا أن الله عند الفلاسفة المثاليين غير مشخص » ومعنى هذا أن الله مشخص فى الفكر الدينى ... ويقول هذا عن العقاد الذى نجده يردد فى كتابه « الله » قوله تعالى : « ليس كمثله شىء وهو السميع البصير » [1] عندما يورد صفات الله . . بهذا الأسلوب وبتلك الكيفية تناول الدكتور لويس عوض الفكر الإسلامى والأدب العربى عند العقاد .. [2] .

إننى ما أردت بما سبق — تفصيلا — وإنما أردت أن أسوق لك مثالا لما دعوت إليه وتحدثت فيه عن واجب الأعلام ودوره فى تنشئة الشباب وتربيته .

---

(١) الشورى ١١

(٢) من مقال للأستاذ/سامح كريم بعنوان«العقاد فى ذكراه العشرين»علاق الفكر الذى لا نعرفه فى ضوء هذه التأملات بتصرف—الأهرام فى ١٦/٣/١٩٨٤م .

وهذا مثال آخر أقدمه إليك أيها القارئ الكريم وأقدمه أيضاً إلى المسئولين عن الصحافة والاعلام فى بلدنا الحبيب بالدرجة الأولى .

إننى لفى عجب – حقيقة – من أن يكتب كاتب مثل الأستاذ محسن محمد بجريدة الجمهورية حديثا يقول فى ثناياه : «كل منا يجب أن يساعد الآخرين وأن يغفر للآخرين كما فعل المسيح ،فقد غفر لمن وضعوه فوق الصليب».

وإننى لأتساءل فى دهشة وعجب : أين الرقابة على الصحف فى بلد دينه الرسمى الإسلام،هل هذا ما تفعله الدولة للحفاظ على معتقدات هذا الشعب الأصيل...

وماذا يريد أن يقول كاتب مسلم كهذا بمقالته تلك ؟ هل هو عدم الدراية بأمور عقيدته ؟

أو ما قرأ قوله تعالى :

« وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ »

أم أنها مجاملة على حساب الدين والعقيدة (٢) ؟

ثم أننى بعد ذلك لأتساءل فى حيرة كما يتساءل غيرى من المثقفين فى مصر :

لماذا تصر الصحف القومية فى مصر على أن تطالعنا بين حين وآخر بأخبار نوادى الروتارى ، والليونز ، وغيرها من النوادى التى تسيطر عليها الصهيونية العالمية .. ؟

وكلنا يعلم أن تلك النوادى وما شابهها إنما تقوم على فكر « الماسونية » ذلك الأخطبوط الرهيب الذى يحاول جاهدا أن يمسك بخنادق البلاد .

---

(١) النساء–١٥٧

(٢) لقد ردت جريدة النور على ذلك فى عددها الصادر بتاريخ ١٩٨٤/٢/١٥م

ويمثل خطرا حقيقيا يهدد المسلمين فى ديارهم وعقيدتهم وشريعتهم[١] .

ثم لماذا نجد البعض من وجهاء الرجال والنساء — مترفيهم خاصة — فى مصر قد انخرط فى عضويتها ويعتبر ذلك شرفا له أو شيئا يستحق أن يفخر به .. ؟

هل هذا ما يفعله الأعلام فى مصر ، وما يقوم به من دور فى سبيل الحفاظ على عقيدة الشباب المسلم من الضلال وعلى تفكيره من الحيرة والضياع .. ؟

**(ج) السينما والتليفزيون واثرهما فى حياة الناس :**

إن الإذاعة المرئية والمسموعة ، يجب ألا يخرج منها إلا الآراء البناءة والمناظر والأفلام النافعة والهادفة والمفيدة للشباب .. والتى تنمى فيهم روح الانتماء لديننا الحنيف ولوطننا الحبيب وليست تلك التى تثير غرائزهم وتحرك المشاعر والأحاسيس الجنسية فيهم ولا تخاطب فيهم غير هذا ، وكفى بذلك ترفيها وتسلية لهم .

ولست لوحدى الذى يطالب بذلك من بين المثقفين فعلى ما يبدو لى أن هذا مطلب عام فالكثيرون من كبار كتابنا وأدبائنا ومفكرينا قد تحدثوا فى ذلك كثيرا حتى بحت أصواتهم ولكن دون جدوى أو فاعلية وكان آخر تلك الصيحات التى نادت وما زالت تنادى بتحسين مستوى اداء فى الأفلام والمسلسلات العربية وعدم تقديم التافه والمتواضع منها ما كتبه الأستاذ الكبير ثروت أباظة بعنوان « الآدب والتليفزيون » حيث قال فى ثنايا مقاله[٢] :

« إن الدول العربية والاسلامية التى تشترى إنتاجنا من الأفلام والمسلسلات لها من أصالة دينها ومن تقاليدها ومن خلقها حدود وعزمة . فالمنتج التلفزيونى مرتبط بهذه الأصول ،ولا يجوز له ما تفلت به المنتجون

---

(١) أنظر كاتب اليهودية—للدكتور أحمد شلبى .

(٢) جريدة الأهرام فى ١٩٨٤/٣/٤م .

للسينما من مجون ، واعتداء على كل ما هو شريف ونبيل من مقومات حياتنا » .

وليس يجوز فى العقول أيضاً ، أن يقبل هؤلاء المنتجون دولا كانوا أم أفرادا أو شركات على الأعمال التى لا تفكر إلا فى التسلية ، وقتل الوقت قتلا ساذجا أهبل ، دون أدنى محاولة لازجاء فكرة رفيعة أوخلق نبيل أو معنى شريف ، لا شئ سوى أن يجلس المتفرجون أمام الشاشة فاغرة أفواههم ، بلهاء نظرتهم ، جاحظة عيونهم ، تخفق منهم القلوب وتجرى الدماء وتعمل على أعضاء جسومهم إلا العقول التى تجد نفسها فى غير حاجة إلى العمل.

وفيم تعمل والذى يعرض عليها لا يخاطب العقول وإنما يخاطب فضول الإنسان وتشوقه أن يصل إلى آخر القصة.

وفيم تعمل العقول وهى واثقة أن الذى يعرض عليها حين تكتمل أحداثه لن يكون له معنى يحتاج إلى اعمال عقل أو فكر .

ثم يستطرد أديبنا الفاضل وكاتبنا الكبير فيقول :

« كنت أحسب أن التلفزيون سينتهز هذه الفرصة التى أتاحها له تعلق الإنسان بالمسلسلات ليقدم لهم روايات كل كتاب العربية الجادين لا الهازلين القائلين قولا رفيعاً لا الذين يداهنون غرائز الحيوان فى الإنسان ، ولا الذين يخاطبون سذاجة الطفولة فى الكبار . . .

ثم طالعنا الكاتب الكبير الأستاذ / ثروت أباظة بعد ذلك بمقالة بعنوان : أدركى مصر يا مصر [1] قال فيه :

« حين تواجهنا الأفلام المصرية بهذا الهول الآخذ فى السقوط نصيح بأعلى صوتنا أدركوا مصر . . إلى أى قوم نتجه بصيحتنا تلك ؟ إنما نصيح

---

( ١ ) جريدة الأهرام فى ١٨/٣/١٩٨٤م . بتصرف .

بمصر أن تدرك ما يصنعه البعض من أبنائها بثقافتها وبواجهتها فمصر الشعب ومصر الجمهور غير هؤلاء الذين يتصدرون الميادين الثقافية فى أرض مصر ».

فمصر الشعب . . . مصر الغالبية العظمى هى الركن الركين للإسلام والدين راسخ فى العميق البعيد من نفوسها ان من يمر فى شوارع القاهرة ذات الألف مئذنة ونيف ، يرى الشعب فى يوم الجمعة وقد ضاقت به هذه المساجد التى زادت على الألف وافترش الناس الطريق العام ، ناس مؤمنون بالله والخلق النبيل لأنهم يؤمنون بأنه لاإله إلا الله وبأن محمدا رسول الله ودين التوحيد هذا هو مصدر هذا الخلق ، ومصر الإسلام هى صاحبة أكبر أفواج الحجاج إلى البيت الحرام وليست مصر هى أكبر الدول الإسلامية عددا .

هذه هى مصر وهذا هو شعبها ولكن ماهكذا الحال مع الذين يعبرون عن كثير من وجوه الثقافة فى مصر .

ليست مصر هى هذه الأفلام الساقطة التى تعرضها شاشات السينما ولا مصر هى هذه اللافتات المرفوعة على فراغ والتى تحاول أن تجعل الرقص والغناء الغبى سمات مصر الفنية ، وليست مصر هى هذه الكتب المتهافتة التى تصدر من جهات رسمية عن مصر ولاهى المجلات الشيوعية التى تظهر مدعية بأنها تمثل أدب مصر والتى تتولى شأنها البيوت الحكومية فى مصر .

وليست مصر بهذا ، ولهذا فإننا نصيح أول ما نصيح بشعب مصر أن ارفض هذا الفن الذى يزيفونه باسمك وحارب هذا الهوان الذى يدلسونه عليك ، ولا تقبل أنت أيها الشعب هذه الثقافة التى ليست من الثقافة فى شيء والتى يزورونها على العالم بما لك من مكان رفيع فى هذا العالم . ونصيح بالشرفاء من المنتجين السينمائيين والمخرجين وكتاب السيناريو أن أدركوا فنكم الذى أمتهنته فئة منكم ينتسبون إليكم وتنتسبون إليهم . ونحن فى صياحنا نهيب بمن لم يسقط بعد أن احذر أن يغريك بريق المال باصالة

الخلق ويلهيك تجار الرذيلة عن سموق الفن وإبائه ، ويخدعك أعداء وطنك عن حق مصر عليك ، فان هذا الهجوم العشوائى على كل كريم أشم فى حياتنا لا يكون إلا من أعداء مصر . بل إن أعداء مصر أقل ضراوة من هؤلاء الذين يرفعون علمها ويطعنون عزتها ويعتدون على المشرق والوضاء من وجهها الثقافى .

ونصيح بالقائمين على شئون الثقافة فى مصر فى عجب ودهشة وحزن وأسى أمثل هذه الأفلام تنال الجوائز ويكرم العاملون فيها ! ! ونصيح . . يا دولة احجبى جوائزك عن كل من شارك فى هذه الأفلام التى تعتبر جرائم مستمرة وامنعى دور العرض أن تعرض هذه الأفلام ، فدور العرض التى تملكينها وتحمل اسمك لا يجوز أن تدنسها هذه الأفلام . وأنت يا دولة — دولة ولست تاجرة . . ولا يجوز أن يزحزحك المال عن المحافظة على كرامة مصر فأنت تمثلين مصر جميعا وتتصرفين حين تتصرفين باسم مصر جميعا وإذا كانت الرقابة عندك عاجزة على أن تعرف الخبيث من الطيب وإذا كانت تخشى أن تتهم بالجمود وضيق الأفق فأنت تشرفين على ثقافة مصر مسئولة ألا يصدر عنك إلا كل ما هو سامق وشريف . ولقد سمعنا عن الرقابة ورأينا منها عجبا سواء كان ذلك فى السينما أم التلفزيون .

أما فى السينما ففى الوقت الذى نرى فيه الرقابة تجيز هذه الأفلام الداعرة المسفة نجدها تشدد غاية التشدد فى أفلام أخرى تحاول أن تقول شيئا ذا قيمة. وأحسب أن الرقباء يقولون فى أنفسهم الدعارة أهون من الثقافة والهذر والإسفاف أسلم من الجد الذى فيه شك وأما فى التلفزيون فقد رأيت رأى العين كيف تسفح الرقابة كل عمل رفيع ويتجرأ الرقباء والرقيبات من الجهلاء والجاهلات الذين باعدوا بين أنفسهم وبين الثقافة والفن بكل جهدهم يتصدون للأعمال الكبرى بالمنع من إدعاء أن هذه الأعمال إنما تخفى وراء نصوصها معانى أخرى غير الظاهر منها . بل ويتجرأون وهم الذين لا يعرفون عن الفن الأدبى شيئا على الإطلاق أن يحكموا أحكاما نهائية على

ما يتعرضون له من أعمال وقد يختلف الرأى حول أى عمل فنى وليس على الرافض بأس أن يرفض دون أن يبدى أسبابه ويناقش هذه الأسباب مع الذى قدم العمل الأدبى للاعداد وتكون النتيجة هذه الأعمال الهابطة من الناحية الفنية غاية الهبوط وإن كانت — والحق يقال — بعيدة كل البعد عما تردت فيه السينما المصرية من دنس وضيع فأفلام التلفزيون وتمثيلياته أغلبها أقل من المستوى الفنى الحقيقى لمصر، ولكن الأفلام والتمثيليات مع ذلك لاتخدش الحياء قط، ومن حق التليفزيون علينا أن نشيد قولا بمسلسل محمد رسول الله» و «طبول النصر» وأيضا بمسلسل «الجزار الشاعر» وبفيلم الرجل الذى قال« لا » مثلا — فالأمر فى التليفزيون يمكن إصلاحه ويمكن تدارك الهبوط فيه إنما الفاجعة المتمثلة فى السينما فلا بد أن يتصدى لها الشعب والفنانون والدولة جميعا فى وقت معا » .

لقد آثرت أن أنقل المقال كاملا ، لأنه على ما أعتقد قد عبر تعبيرا صادقا ودقيقا عن إحساس المسلم وشعوره حقيقة تجاه ما يقدم باسم الفن فى مصر .

لقد كتب الدكتور مصطفى محمود مقالا بعنوان «جريمة سب علنى » قال فيه [1] :

« السينما فى بلادنا لم تعد فنا بل فضيحة..بل وصمة عار على كل من يعمل فيها ممثلا أو منتجاً أو مخرجاً . لقد أصبحت شاشة كبيرة تروج فيها الغواية والعهر والفحش ويظهر فيها شعب مصر ونساء مصر وبيوت مصر بمالايليق بعد الكفاح والصبر والألم لا يرون فيها إلاالفحش والاختلاس والسرقة والتسول . . والحق أن هؤلاء المؤلفين ما رأوا إلا أنفسهم فهم المخدورون وما قالوه عن بلادنا هو الفحش والتزوير بعينه ومصر بريئة مما قالو وصنعوا وصوروا وأخرجوا . ولا أدرى كيف لاينلدى جبين هؤلاء الممثلين الكبار خجلا حينما يرون أنفسهم على الشاشة سبة لبلادهم وأى كسب مادى يعوض ما جرحوا به أهليهم وأخوتهم ! !

---

(١) جريدة الأهرام فى ١٩٨٤/٣/٢٦م .

وفى نفس اليوم يكتب الأستاذ صلاح منتصر مقالا بعنوان « فى السينما » تحدث فيه عن عدم قيام دور السينما بدورها فى الاعتلاء والارتفاع بأذواق الناس وإفادتهم وكيف وأن الجماهير المثقفة قد لزمت بيوتها واعتادت عدم الذهاب إلى دور السينما حتى وإن كان الفيلم قمة وذلك أصـلا من اختلاف نوعيات المترددين على دور السينما عما كان عليه سابقاً .

نعم ..لابد وأن يكون للاعلام دور أكثر حيوية وأوسع نشاطا فى نشر الفكر والثقافة بين الشباب وخاصة فى دولة نامية مثلنا، فان حاجة الشباب إلى الثقافة الموسوعية والعلم النافع والفكر الجاد لأعظم بكثير من حاجته إلى تلك الأفلام التافهة التى لا غناء فيها ولا فائدة منها .

وذلك بأن تعمل الدولة جاهدة على دعم سعر الكتاب حتى يتسنى للشباب أن يقرأ ويطالع أحدث ما وصل إليه العالم من تقدم ورقى حضارى ولابد وأن يشعر الشباب بالأمن فى يومه والأمان على مستقبله ، و ذلك بأن تقوم الدولة — بكل تنظيماتها وهيئاتها — على توفير ماديات الحياة ، فلا يضيع عمر الشاب وهو يبحث عن شقة أو ما إلى ذلك من المطالب المادية اللازمة والتى لا غنى عنها لأى شاب فى مقتبل عمره وبداية حياته .

إننى لمرقن تمـام اليقين من أنه لو صدقت النيات وصـحت العزائم وشحذت الهمم وتكاتفت الأيدى وتعاون أولوا الأمر فى مختلف الهيئات والمؤسسات فى الدولة لذلك ، فسوف يكون هناك — بإذنه تعالى — التوفيق والسداد لأن هذا وعد من الله لعباده ، أليس هو القائل جل شأنه :

« وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُم وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا[1] »

نعم . . فالله مطلع وعالم بأحوال خلقه ، لا يغيب عنه شيء ويجازى إن خيرا فخير . . وإن كان غير ذلك فهو سبحانه يمهل ولا يهمل وإليه وحده المرجع والمآب.

---

(١) النور—٥٥

# الباب الثالث

## فشل الفكر الأوربى كمنهج للحياة

أولا : الفكر الأوربى فى المنظور الاسلامى :

ثانيا : تقليد الغرب والطريق المسدود :

ثالثا : أحد نماذج فساد الفكر الأوربى :

رابعا : تجربتان فاشلتان : الرأسمالية والشيوعية :

# الباب الثالث

## فشل الفكر الأوربى كمنهج للحياة

إننا لو نظرنا إلى فكر الغرب وآراء فلاسفته نظرة بعيدة تماماً عن التعصب والتشنج وأقرب ما تكون إلى الاعتدال ، لأن الاعتدال كما أسلفنا هو الطريق الوسط بين طريقين كلاهما مفسد للرأى ومخل بالفكر وهما الافراط والمغالاة من ناحية والتفريط والتسيب من ناحية أخرى .

**اولا : الفكر الأوربى فى المنظور الاسلامى :**

لو نظرنا إلى الأمر من هذا المنطلق ، وبتلك النظرة المجردة ، لتكشفت لنا الحقيقة ، ولوضحت لنا الأمور جلية وضوح الشمس كما يلى :

أولا : يجب أن نعترف أن هؤلاء الفلاسفة باعتبار بشريتهم ، لهم أهواؤهم الشخصية ، ونزواتهم الفردية ، والتى ولابد وأن تترك بصمات واضحة فى حياة كل واحد منهم ، وآثار غائرة فى نفس الإنسان منذ ولادته يصعب تغييرها ، أو التخلص منها وهى أيضاً بالتالى التى تحرك وجدانه وتلهب مشاعره ، وتشكل فكره ، ومنطلقه فى الحياة .

وعلى هذا ، فاننا لا نستطيع بأى حال من الأحوال أن نغفل فيهم احتمالات الخطأ والصواب مهما حاولوا أن يسموا بأنفسهم ، ويرتفعوا بذواتهم.

ثانيا : انطلاقا من نظرتنا الأولى ، وبناء على ما أوضحناه سابقا نستطيع أن نقرر فى وضوح وجلاء ، أن أناسا بأوصافهم هذه ، و أحوالهم تلك لن يمكنوا أبدا بأى حال من الأحوال من وضع منهج سليم ومتكامل ، يمكن أن يعول عليه فى صلاح البشرية واستقامة الإنسانية ، وسيرها قدما فى طريق الخير والسعادة .

ثالثا : أن هناك عنصرا هاما ، وأساسيا فى عدم إمكانية قيام هؤلاء المفكرين والفلاسفة ، بوضع منهج سليم ومتكامل يعتمد عليه ، وذلك لأنه من الثابت والمعروف لكل ذى عقل ، ولكل صاحب رأى أو فكر أن واضع أى منهج سليم ، أو تشريع حكيم يجب أن يتصف بشمولية العلم .

وتلك الصفات أى صفة العلم الشامل للمشاهد وغير المشاهد ، ولما مضى ولما هو آت لا تكون إلا لله تعالى؛ فمن يكون علمه شاملا أصلا يجب أن يكون واحدا غير متعدد ، لأن الشمول لا يتحقق إلا للواحد فقط إذ أن علم الكثرة علم محدود ، وغير شامل بالنسبة « لكل واحد فيها [١] »

نعم . . فلو كان هذا العلم الشامل لاثنين ، لاختلفا ، وعندما يختلفان ، فلابد وأن يغلب ، ويفوز أحدهما ، أما الثانى فسوف يفوز عليه قرين آخر ، أكثر منه علما ، لأنهم جميعا متفاوتون . وصدق الحق تبارك وتعالى إذ يقول :

« ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله ، إذاً لذهب كل إله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون ، عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون [٢] » .

رابعا : من المعلوم للباحثين والمفكرين أن الفلسفة لا مقياس لها فهى ظنية ، نعم . . . إنها ظنية لأنه لا يتأتى لها أن تفرق بين الحق والباطل ، وما دام لا سبيل إلى اليقين فى موضوعات الفلسفة ، فان اختلاف الآراء فيها دائم ومستمر ، هذا الاختلاف عبر القرون ، والجدل دائم ومستمر الاختلاف داخل المدرسة الواحدة ، يعلمون أن كل فيلسوف

---

(١) التفسير الموضوعى للقرآن الكريم للدكتور محمد البهى .

(٢) المؤمنون ٩١ ، ٩٢

أتى قبلهم هدم أراء سابقيه فيأتى من بعده ويهدمه ، ولهذا أخفق منهج أرسطو وأخفق منهج ديكارت وغيرهم [1] . . .

والآن ونحن نحاول جادين، جاهدين إلقاء الضوء على بعض من فكر الغرب وآراء فلاسفته ، ياحبذا لو كان فى ذهن كل واحد منا تصور للمنهج الربانى ،المنهج الذى وضعه رب العباد للعبادعلى السواء،لنعقد مقارنة بين كل منهج من تلك المناهج البشرية بفلسفاتها ، والمنهج الربانى فى كماله وشموخه . . . مع العلم بأن فى تلك المقارنة ظلم لمنهج الله ، أو أنها مقارنة بين الثرى والثريا .

لا بد وأن نسأل أنفسنا فى شئ من الروية فى التفكير والعقلانية فى المنطق والحوار ، هذا السؤال : هذه المناهج التى وضعها البشر وما فى البشر من نقصان ، ونزعات وأهواء خير أم المنهج الذى وضعه إله واحد ، ورب واحد للبشر جميعا ، والذى قد سما بذاته عن النزعات والتفسيرات الحادثة لبنى البشر .

نعم . . . .« أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار [2] »

ومهما حاول الإنسان وضع منهج من المناهج ، وبذل فيه أقصى ما لديه من جهد حتى يخرجه للعالم تاما وكاملا ، فانه لم يتم له ذلك لأنه لم يمكنه بحال من الأحوال أن يراعى مصلحة البشر جميعا ، وذلك لأنه إن عرف شيئا من أحوالهم وأحاط بها فهما ، غابت عنه أشياء ، وكلنا يعرف أن الإنسان ناقص بطبيعته . . وإلا فلم يحاول دائما وأبدا الوصول إلى الكمال .

---

(١) من مقال للأستاذ أنور الجندى بعنوان« الفكر الإسلامى بين المنهج الربانى والمنهاج الفلسفى » الوعى الإسلامى العدد ٢١٥ سبتمبر ١٩٨٢م .

(٢) يوسف-٣٩

وسوف تتضح الأمور فيما بعد ، عندما نتعرض لبعض مفكرى الغرب وفلاسفته ، من حيث أفكارهم وآرائهم، وكذلك سيرتهم الذاتية . لأننى على ما أعتقد ، فان المفكر أو الفيلسوف ، ينبغى أن تكون حياته مثالا حيا ونموذجا تطبيقيا لما يعتنقه ، ويؤمن به من أفكار وآراء ، ومن هنا كان اهتمامى بدراسة السيرة الذاتية لهذا المفكر أو ذاك الفيلسوف . . .

أما إذا كان الأمر غير ذلك ، أى أن هذا المفكر أو ذاك الفيلسوف لايعيش بأفكاره ، ولا يطبقها فى حياته ، ولايجعلها سلوكا حيا فى عالم الواقع ، فكيف يتسنى له بعد ذلك أن يطلب من الناس أن يؤمنوا بأفكاره ، وأن يعيشوها فى واقع حياتهم . . ؟

لأن من البديهى أن يتساءل الناس عندئذ قائلين : لو كان لديه ثقة فيما يقدم للناس من رأى أو فكر ، أو يرى فيه صلاحا حقيقيا لحال البشرية أو خيرا لها ، فلماذا لم يلزم نفسه به أولا؟ فهو أولى الناس وأحقهم بذلك ألا يعد ذلك رفضا عمليا منه لمبادئه وأفكاره وتنكرا لها ؟

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان القدوة والأسوة مطلوبة فى مثل هذا الموضوع ، وذاك المقام ، فان ذلك أدعى لأفكاره أن تنتشر ، ولآرائه أن تعم . . . فقديما قالوا :

« إن حال رجل فى ألف رجل خير من كلام ألف رجل فى رجل » وقول بلاعمل كشجر بلاثمر وأيضا كما هو معلوم لا يستوى فارس الحال وفارس المقال.

فما أيسر أن يكون الإنسان فارسا للمقال فى كل ناد من المنتديات ، أو أى مجتمع من المجتمعات ، وما أكثر هؤلاء فى حياة البشرية،ولكن ما أصعب أن يكون الإنسان فارسا للحال ، عندما يلزم نفسه بمبادئ ثابتة وقيم راسخة ويهب حياته لها وما أندر هذا الصنف من الناس فى حياة البشرية وعالم الإنسانية .

وسنرى فيما بعد ، كيف وأن البعض من مفكرى الغرب وفلاسفته لم يسيروا فى حياتهم على هدى من أفكارهم ولم يلزموا أنفسهم بما اعتنقوا من مبادىء وقيم ، وهم بذلك — بطبيعة الحال — قد أفقدوا الناس الثقة فيما قدموه لهم من رأى أو فكر .

**ثانيا : تقليد الغرب والطريق المسدود :**

ثم إن هناك شيئا هاما ، أريد أن أنبه إليه وهو أنه حتى لو سلمنا جدلا بصحة الفكر الغربى كمناهج للبشرية ، فهى ربما كانت ملائمة وصالحة للإنسان الأوربى . وتتناسب مع تقاليد بيئته ، وظروف حياته ، ولكنها لا تصلح بالطبع للإنسان فى الشرق الذى يختلف تماما عن الإنسان فى الغرب فى الكثير من أمور حياته ، وتقاليد مجتمعه .

فلا ينبغى بأى حال من الأحوال ، أن نكون مقلدين مجرد ببغاوات تردد ما تسمع — دون أن تعى ما تقول .

وتلك مصيبة كبيرة يعيشها الكثيرون من أبناء الشرق الإسلامى ، الذين ينظرون إلى بعض كتابنا ومفكرينا ، وخاصة أولئك الذين تربوا وترعرعوا فى ظل الاستعمار والاستشراق ، وجعلنا نحن منهم العمداء فى الفن والأدب ، ينظرون إليهم نظرة قداسة ، وإجلال وكأنهم أنبياء ، فكل ما يقولون أو يكتبون من رأى أو فكر فهو وحى أو إلهام ، وينسون تماما أنهم بشر ، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم ، ويجب أن يقابل الفكر بفكر مثله ، وأنهم معرضون للخطأ والنسيان.

فعلى سبيل المثال ، لقد قرأت مقالا للأستاذ الدكتور زكى نجيب محمود يقول فيه أن تحجب المرأة أو الفتاة يعتبر من وجهه نظره ردة عن التقدم . . ورجوعا بها إلى عصر الحريم . .عصر الخضوع للرجل ، وفقدانا لذاتيتها وحريتها ، وأنها بهذا — أى تحجبها والتماسها لرضاء ربها وحرصها على طاعته — إنما تضيع النهضة التى قامت بها وأنا حقيقة لا أفهم أى نهضة هذه ؟

أهى نهضة ضد الدين والخلق أو ثورة ضد المبادىء والقيم ؟

أقول أن هذا فى رأيى ورأى كل مسلم أو مسلمة تفهم أمور دينها وتعاليمه غير صحيح.

فليس تحجب المرأة خضوعا لرأى الرجل ، ولا رجوعا لعصر الحريم ، وإنما هو تدين نتيجة لتعلمها وتثقيفها ومعرفتها بربها وخضوعا لأمره بتغطية ما يحرم النظر إليه من غير محارمها ، وهذا ببساطة ما فعلته المحجبات ثم إن ذلك لم يؤثر فى رغبتها فى العلم ، ولا فى طموحها ، ولم يقعدها عن عملها بل زادها اتقانا للعمل ، ومراقبة لربها ورغبة فى أن يكون كسبها حلالا وإذا كان المظهر يؤثر فى النفس كما قال الأستاذ زكى نجيب محمود [1] فان مظهر التدين إنما يدعوها إلى التقرب من الله وعمل كل ما يرضيه وهو حسن الخلق ومكارم الصفات .

إننى لأنادى بأعلى صوتى فأقول :

ياأبناء الشرق الإسلامى ، إن لكم تراثا مجيدا ، يجب أن تعنوا به أشد ما تكون العناية ، وتحافظوا عليه ، أتدرون ما هذا التراث؟

إنه القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، وعلوم الأوائل الدنيوية التى نقل عنها الغرب ، واستفاد منها ، إرجعوا إلى الكتاب والسنة وأعرضوا عليها كل ما يقابلكم من رأى أو فكر ، فهما الميزان الحقيقى والمقياس السليم والصحيح لكل الأفكار والفلسفات التى تفد اليكم من الغرب وتستطيعوا حينئذ أن تحكموا عليها قربا أو بعدا من إسلامنا وتراثنا العظيم.

**ثالثا : احد نماذج فساد الفكر الاوربى :**

فعلى سبيل المثال ، فى القرن الماضى ، ومع تزايد عظمة الأمبراطورية البريطانية وتدهور أوضاع المثقفين ، وانهيار القيم القديمة وظهور الأفكار النفعية والعلمية ، أفرز الفكر الغربى تيارات ( بغيضة ) متعددة تحاول

---

(١) من مقال له بعنوان « ردة فى عالم المرأة » الأهرام فى ٩-٤-١٩٨٤م .

تفسير ما يجرى : ومن بينها كان التيار الفردى ، غير العقلانى المتعصب وضيق الأفق الذى فعله كارلايل .

وقبل أن نعرض لشئ من فكره كنموذج للفكر الغربى ولبيان مدى قصوره لتكوين فكر شامل وسليم يمكن أن يعتمد عليه فى صلاح البشرية واستقامة الإنسانية ، أود أن أعرض لرأى البعض من مفكرى ومؤلفى الغرب فيه هو :

« فهذا المفكر والمؤرخ وكاتب السير الشخصية للعظماء والذى فلسف التاريخ كله ، وفقا لظهور واختفاء العظماء وأدوارهم وعاش فى القرن الماضى يصفه الكثيرون بأنه كان يتمتع بالكثير من كراهية وازدراء الغالبية العظمى من مثقفى الغرب المعاصرين .

ويقول عنه « فريد كاريلان » مؤلف كتاب ( توماس كارلايل — مسيرة حياة ) أنه ( رجل إنسانى النزعة اتصف بالتعاطف مع تاريخ البشر ومصائرهم ) ولكن الكتاب —ينتهى عمليا— إلى تأكيد النظرة السائدة إلى كارليل فالكتاب يؤكد أنه كان عنصريا ، وضع التيوتون الجرمان فوق كل الأجناس واحتقر الزنوج والعرب واليهود ، والحاميين والساميين ، ودافع عن الاستعمار وعن مذابح الزنوج الثائرين فى أفريقيا وأمريكا اللاتينية ، وزعم أنه ليس للتاريخ وجود ( جماعى ) أى أن جموع البشر لا دور لهم فى صنع التاريخ — إنما التاريخ من صنع العظماء وحدهم .

وأيضا فإنه اعتقد أن الأخلاق ليست إلا سلاحا ابتكره الضعفاء لشل إرادة الأقوياء . وأن الأديان من ابتكار الأقوياء للسيطرة على الضعفاء أو العكس .

هذا بعض من فكر الغرب الذى يتضح فيه القصور والبعد عن الصواب الذى لا يمكن أن يقارن أو يتسامى إلى فكر الإسلام ومناهجه فى كل التصورات السابقة فمثلا عندما يميز هذا الفكر جنسا عن جنس

أو يفرق بين الناس بسبب لونهم بل ويحتقرهم فإنه في الحقيقة إنما يقع في خطأ كبير لأن الناس — كل الناس — لأب واحد وام واحدة والكل من التراب ومرده إليه فلماذا تكون التفرقة، ولماذا يكون الاحتقار أو الأزدراء والسخرية و كما يقول الحق تبارك وتعالى في كتابه الكريم :

« يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ . . . »[1] .

ولذا فقد وجدت الإنسانية ضالتها المنشودة في الإسلام فاجتمع في الإسلام صهيب الرومي وسلمان الفارسي وبلال الحبشي . آخى بينهم الإسلام وانصهروا في بوتقته.

وإذا كان هذا الفكر يدافع عن الاستعمار ويبرر وجوده فإننا نجد الإسلام على النقيض من ذلك — يأبى للبشرية الذلة والهوان وألا يثأر الإنسان لكرامته وأن يعيش مكبلا بالقيود ، وإن فتح الإسلام لكثير من البلاد والأمصار لم يكن مسوغا بأية حال من الأحوال لا ستعباد أهل هذه الديار وإذلالهم وإنما كان يحفظ لهم حريتهم ويصون لهم كرامتهم ولا يفرض عليهم الإيمان به دونما اقتناع ، وإنما كان هناك الخيار بين الجزية أو الإسلام وأيضا نشر الأمن والأمان في تلك البلاد وخلص أهلها من ظلم الظالمين وإذلال المتجبرين .

**رابعا : تجربتان فاشلتان الراسمالية والشيوعية :**

ولنقترب أكثر من الفكر الغربي الذي اعتمد عليه الغرب في تشكيله لفكره بل كان حجر الزاوية بالنسبة للحضارة الغربية سواء كانت في المعسكر الرأسمالي أو الشيوعي .

وفي البداية نستطيع أن نقول بأن الإنسان قد خلق بفطرته قاصر النظر ،

---

(١) الحجرات - ١١

محدود التصور ضمن ما يتراءى له من الأشياء المادية المحسوسة، فلا عجب إذا ما أخذ عليه حب المادة كل مشاعره واستولى على فكره وأحاسيسه ، وجعله لا يعمل إلا من أجلها وفى سبيل الحصول على أعظم قسط منها ، ثم هداه فكره وعقله بواسطة العلم إلى أفضل الطرق للاستفادة من تلك الماديات واستخدامها لنيل ما تصبو إليه نفسه من زيادة الثروة واحتكار وسائل الإنتاج ، فأصبح الغرب يعتقد أن العلم فى الحياة هو كل شئ باعتباره الوسيلة الوحيدة للسيطرة على كل ما هو مادى فى هذا الوجود وصار الناس يفرقون بين عقل الإنسان وشعوره ! ويؤمنون بالنظريات العلمية أكثر من إيمانهم بالله خالق الأكوان ومؤتى العلم من يشاء ، بل ويجزمون بأن الاقتصاد هو أساس أنظمة الحياة وكلها قائمة على الماديات ، والماديات وفقط ! أى لا دخل فى ذلك للعقيدة أو الحياة الروحية ، فالإنسان بثروته ، والفرد الذى يعمل ويكد فى الحياة لجمع المال هو المالك الوحيد له ، ولا حق لغيره فيه ، وله أن يتصرف فى أمواله كيف يشاء ، ومن حقه أن لا يصرف شيئاً منها إلا إذا كان مقابل منفعة ترجع إليه ، وعلى هذا الأساس قامت الحضارة الغربية بعيدة عن الدين ، متجردة عن الأخلاق والفضائل ، وتعتبر الدين والأخلاق فى نظرها من الأمور الشخصية التى لا علاقة لها بسعادة الفرد و الجماعة إنما هى تتعلق فقط بالإنسان وربه فى ساعة خلوته .

ومن أجل هذا فصلوا الدين عن الدولة، واستعاضوا بحكم الخالق حكم المخلوقين ، وأخذ بهذا المبدأ جماعة الرأسماليين من الأمم المسيحية واليهودية ومن جاراهم من الأمم الأخرى ، ، وعمل كل فرد فى الحياة بوسائله الذاتية للوصول إلى عيشه الخاص بأى طريقة ممكنة ، وكان من ثمرة هذا الفكر وبالتالى تلك الحضارات أن انحصرت الثروة فى جيوب الرأسماليين من أصحاب المعامل والشركات ، وملاك الأراضى والمرابين الذين أمعنوا فى الشهوات والتغالى فى الكماليات ، وأقاموا صرح نظام الطبقات والأرستقراطيات ومحت من المجتمع روح التعاطف والتكافل والمساواة ، الأمر الذى حمل الطبقة الفقيرة على الإجرام ، وغرس فى نفوس المزارعين

والعمال بذور الحقد من أصحاب الأموال حتى أخذوا يفكرون فى وضع نظام للحياة يصلح ما بدأ من الفكر الرأسمالى من عيوب وأخطاء وسلبيات وبالتالى ما ظهر فى الحضارة الغربية من آثام وجرائم ، فتوصلوا إلى إحداث نظام جديد سموه النظام الشيوعى أو الفكر الشيوعى وهو يقضى بتحطيم الملكية الشخصية ، ويجعل من حق الدولة وحدها أن تهيمن على جميع وسائل الإنتاج ، ويهيئ للناس مرافق الحياة وتلزمهم بالعمل الدائم والإنتاج المستمر على أن تصرف لهم المكافأة اللازمة على ما يقومون به من الخدمات للصالح العام .

ونستطيع أن نقرر فى شئ من الرؤية فى التفكير وهدوء النفس أن هذا نظام فاسد ، جائر ، لا ينصف الفقير — الذى يتباكى من أجله قادة الفكر الشيوعى فى كل مناسبة وفى كل مكان — بل يزيد فى بلواه ، ويزيد من صعوبة هذا الأمر وذلك لعدة أسباب :

أولا : لأنه وإن قضى على أصحاب رؤوس الأموال الباذخين وأذلهم بالاستيلاء على أموالهم ، فقد وضعها فى يد متمول واحد مجرد من المشاعر الإنسانية الرقيقة ، والعواطف النبيلة ، فلا رأفة عنده ، ولا مواساة ولا تقدير ولا استثناء .

هذا المتمول هو الحكومة الشيوعية التى تستخدم الأفراد بمثل ما يستخدم الإنسان الآلات الماكينيكية الصماء ، وتوزع بينهم أسباب المعيشة بغاية من القسوة والاستبداد وفق ما تسنه من نظم نافذة المفعول على العموم فى حد سواء ، وهم أمام ذلك — مسلوبو الحرية فى الرأى والعمل وقد تعطلت فيهم ملكة التفكير ، فلا يملكون غير السمع والطاعة والخضوع لما يلقى إليهم من أوامر لا ترد .

ثانيا : لأنه قضى على روح الطموح فى نفوس عموم الطبقات ، وجعلها تظل تشعر بأنها حكم عليها أن تظل أجيرة مستعبدة إلى الأبد .

ثالثاً : لأنه يقتل فى الإنسان روح الجد والاجتهاد والرغبة فى العمل ويؤدى إلى تقاعس الأفراد فى أداء الواجبات ، لأن الرجل فى الحياة لا يبذل قواه العقلية والجسمية كلها إلا فى عمل يجد فيه نفسه ، ويجد فى نفسه ميلا إليه ورغبة فيه لمصلحته الذاتية ، أو ما يعود عليه بنفع يميزه عن أترابه ، فاذا فقد من نفسه هذه الرغبة ، وعلم أنه مهما بذل من جهد فسوف لايتميز عن أترابه بشئ ،ولم يحصل إلا على ما حدد له من المنافع والفوائد فانه لن يفكر ولن يمارس عمله إلا بالقدر الذى به يحاول الأجير أن يتخلص فقط من المسئولية الملقاة على عاتقه لقاء الأجر الذى تقاضاه .

رابعاً : لأن هذا النظام من شأنه أن يصطدم مع أساس الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، ويخالف السنن الكونية التى وضعها الله للحياة ، ومن أجلها سن التفاضل فى جميع مخلوقاته لا فى الحيوان فقط بل وحتى فى الثمار التى تخرج من شجرة واحدة وتسقى من ماء واحد فمنها ما يكون حلواً ومنها ما يكون حامضاً ، ومنها ما يكون كبيراً ومنها ما يكون صغيراً وكذلك الأخوة الذين يخرجون من بطن واحدة ومن أب واحد ، منهم من يكون طويلا ومنهم من يكون قصيراً ومنهم من يكون أبيض ومنهم من يكون أسمر ومنهم من يكون ذكياً ومنهم من يكون بليداً فكيف يمكن توحيدهم فى العمل والرزق .

خامساً : لأنه من شأنه أن يكبت فى النفوس عواطف الحب ويقلم أظافرها ويقضى على أسبابها ودواعيها ، وذلك لأن الله تعالى الذى وضع فى النفوس محبة الأهل والأولاد والزوجات جعل من المادة وسيلة لتقوية هذه العواطف وزيادة الألفة والاحترام بما يبذله الرجل فى هذا السبيل من الأموال التى أن حرم منها ووجدها الأولاد والزوجة من غيره ضعفت محبتهم له ، بل وفقد معها ماله عندهم من مكانة وتقدير .

سادساً : لأنه من شأنه أن يقف سداً فى وجه الإحسان الذى هو وسيلة التعاون والتوادد بين الناس ، فلا محل لأن أحسن إليك أن تحسن إلى ، ولا فضل لأحد على أحد حتى يرعاه ويخلص له من أجله .

سابعاً : لأنه سوى بين الناس تسوية لا يقرها العقل ولا يسلم بها الضمير ، حيث جعل الخامل متهدم القوى مساوياً ومماثلا لصاحب الهمة العالية والنفس الوثابة إلى الخير والسعادة .

وهذا ما يدعونا بل يحملنا على الاعتقاد الجازم بأن النظام الشيوعى نظام جائر جداً ، وأن الدول التى تأخذ به إنما تبطش برعاياها بطشا لاحد له ولا نظير له فى العالم وأن ما نسمعه أو نقرأه فى صحفنا عن علماء تلك الدول الذين يفرون أو يهربون من هذا النظام القاسى الظالم ويطلبون حق اللجوء السياسى فى دول أخرى لأكبر دليل على ذلك هذا بالنسبة للذين تسعدهم الأقدار وتشاء لهم أن يفعلوا ذلك فغيرهم يترك فى صحراء سيبريا حتى تتجمد أوصاله ويموت من الجوع ... والبرد ... والجليد .

ويؤيد لنا هذا أيضاً ما طوقتهم به من أسوار حديدية جعلتهم فى معزل عن العالم بتاتا ، بالإضافة إلى ما تبذل من جهد لفصم ما بينهم من روابط سابقة كانت تقوم على أساس الود والأخاء والتعاون المشترك .

ولو رجع الجميع إلى تعاليم الله لوجدوا أن فى الإسلام ما يحل لهم كل مشكلة من هذه المشاكل الاقتصادية،لأنها تقوم على أسس ترضى الجميع وتضمن للعالم سلامه واطمئنانه .

ذلك أن الإسلام فى نظمه وتعاليمه لم يصادم فطرة الله التى فطر الناس عليها ، وقد أعطى لكل فرد فى الحياة كامل حقوقه فى الملكية الشخصية وأطلق له الحرية فى التصرف فى أمواله كيف يشاء بطريقة لايخل بها التوازن فى توزيع الثروة بين الناس ، ولا يجعلها محصورة فى الرأسماليين فقط ،بل دولة بين عموم الطبقات .

فهو إذن يمنح الفرد كامل حقوقه ولم يمنعه من جميع التصرفات،إشترط عليه شروط معقولة ، أوجب عليه مراعاتها ، وفرض عليه حقوقاً نحو

المجموع لابد له أن يؤديها ، ويعطى كل ذى حق حقه ، وجعل الإنسان على نفسه بصيراً ، ومن أخلاقه وآدابه ، ومن الحكومة سلطاناً وأميناً .

فأما الشروط فانها تتلخص فى أن يراعى فى الحصول على الثروة ما يأتى : (١)

١ — إتباع الطرق المشروعة فى الحصول عليها .

٢ — مراعاة واجب العدل وعدم الاعتداء أو هضم حقوق الغير فى سبيلها .

وأما الحقوق فكلها أحكام خاصة تعود على الفرد بالخير والسعادة ، فالأمة بأفرادها ومصلحة المجموع متوقفة على مصلحة الفرد ، وبعمل الفرد يصلح شأن الأمة ، إلا أن الحقوق تنقسم إلى :

١ — حق نفس الإنسان عليه ، بأن يحافظ على صحتها ويعمل لسعادتها واجتناب ما يضرها أو يؤذيها على ضوء ما أخبر به الله العليم بحقيقتها والعارف بدائها وأدوائها ليستقيم أمرها وتزكو فى حياتها .

٢ — حق القربى على الإنسان وهم كل من يلوذ به من الزوج والوالد والوالدة والأهل وحاشيته من عمال وأتباع ونحوهم ، عليه أن يؤدى لهم كل ما يستحقون من عطف ورعاية وتقدير حسن جزاء وفق ما يأمر به الله وما يوحى إليه الضمير والإحساس ليكثر أنصاره ويعز جانبه وتعظم عشيرته .

٣ — حق الجماعة على الفرد بأن يطعم جائعهم ويكسو عاريهم ويواسى فقيرهم ويساعد مريضهم ويعين ذوى الحاجة منهم بقدر ما تسمح أحواله وتساعد عليه ظروفه ، وأن لا يكذبهم ولا يخدعهم ، ولا يغشهم ويخلص

---

(١) أسمى الرسالات ، السيد عبد الحميد الخطيب . تعليق فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتى الديار المصرية سابقا .

لهم النصيحة ، ويحب لهم ما يحب لنفسه ليكسب بذلك ثقتهم وينعم بحبهم ، فيعيش قرير العين مرتاح الضمير بينهم .

٤ — حق الحكومة على الفرد بأن يطيعها فيما تأمره به من خير وينتهى عما تنهاه عنه من شر ، وأن يعمل على تأييدها ، ويجاهد تحت رايتها بالنفس والمال لتضمن له العزة والكرامة والمنعة والسيادة ، وترد عنه وعن بلاده عادية الطامعين فيه المعتدين عليه .

وعلى هذا الأساس جاءت تعاليم الإسلام داعية إلى حب النفس حباً يحمل الإنسان على العمل لما ينفعها ويضمن سعادتها وهناءتها ويمنع عنها كل ما يؤدى إلى ضررها أو إلحاق الأذى بها .

لقد قامت الحضارة الإسلامية على أسس تغاير تماماً الحضارة الغربية وذلك لأنها تقوم على أساس الأخلاق والدين الذين يراهما الغربيون من الأمور التى لا علاقة لها بالمجموع ويراها الإسلام أساساً للسعادة الحقة فى هذه الحياة .

تلك الأسس التى جعلت المسلم لا يحصر فكره فى دائرة المادية الضيقة بل يتجه بكليته إلى الاتصال بالله خالق الأكوان ليستمد منه الهدى إلى أقوم الطرق الموصلة إلى حقيقة الكمال فى كل شىء .

هذا ما أردت أن أوضحه من بعض جوانب الفكر الأوربى ولنرى نماذج وأمثلة لبعض مفكرى الغرب ، لتتضح الصورة كاملة إن شاء الله .

---

# الباب الرابع

## مفكرو الغرب فى ضوء الاسـلام

---

١ ـ سقراط وارسطو .

٢ ـ أفلاطون وفشله فى اقامة المجتمع الفاضل .

٣ ـ أبيقور ... وما اخذ عليه :

٤ ـ المجتمع الاسلامى بين النبوة والفلسفة :

٥ ـ مادية هيوم ... ومثالية بروكلى :

٦ ـ جون لوك واعترافه بقصور العقل .

٧ ـ كانت ... ورحلته فى البحث عن الله :

٨ ـ منهج الشك بين ديكارت وطه حسين :

٩ ـ طه حسين وفلسفة ابن خلدون :

١٠ ـ فرنسيس بيكون ... فيلسوفا :

١١ ـ العلاج النفسى بين سيجموند فرويد ... والاتصال بالله تعـالى والاستغفار له

# الباب الرابع

## مفكرو الغرب فى ضوء الاسلام

والآن ، فسوف نحاول إلقاء الضوء على فكر البعض من مفكرى الغرب وفلاسفته دون ما تعمق فى أفكارهم ، أو دراسات تحليلية أو تفصيلية فى آرائهم ، فليس هذا هو الغرض الأساسى من هذا الكتاب ، ولو أردنا أن نتعرض لذلك ، لا حتجنا إلى العديد من الكتب والمراجع المتخصصة فى ذلك — والتى بامكان كل واحد منا الرجوع اليها — لكتابة الكثير من الصفحات وإنما أردنا أن نعطى صورة عامة لكيفية تناولهم لبعض قضايا الفكر ومدى قربهم ، أو بعدهم عن الإسلام .

### ١ ـ سقراط وارسطو :

ولنأخذ لذلك مثالا ، وليكن هذا المثال أو ذلك النموذج لواحد من عمالقة الفكر والفلسفة القدامى إلى أن نصل إلى المحدثين منهم . . فماذا عن فلاسفة اليونان من مثل سقراط ، الذى اشتهر بالحكمة ، وكذلك أرسطو الذى عرف بالتعمق فى النظر إلى المسائل ، والبحث والدراسة فى الأمور المعقدة والميتافيزيقية . لو تأملنا حياة كل واحد من هؤلاء وخاصة فى بعض التصورات المتعلقة بالله تعالى ، والوجود ، ولكن إلى أين انتهى به بحثه الفلسفى فى ذلك ؟

وهل تحقق له ما يريد ، أو ما يشبع به فهمه ؟

وإننى لا أجد ردا أقوى من مقالته الشهيرة التى سجلها له تاريخ الفكر حينما قال :

« أنا لا أعرف غير شىء واحد ، هو أننى لا أعرف شيئا »

هذا ما قاله سقراط . . .

ربما يعجب الباحث ببعض من آرائهم ، ولكننا سوف نلاحظ أن هذه الآراء مشوشة ، وأن تعريفاتهم للأمور غير كاملة . وربما لا يتقبلها العقل وذلك ربما لبحثهم فى أشياء تعد من الترف العقلى من ناحية ، أو كان هذا لغياب الفكر الإسلامى ، أو المنهج الربانى الحكيم فى ذلك الوقت من ناحية أخرى ،

وقد يسأل سائل ... أين كان هؤلاء المفكرون والفلاسفة من الأديان السماوية ؟ أو لم يسمعوا بها ؟ أم لم تكن فى أزمانهم ؟

نقول نعم . . كان هناك العبرانيون فى عصرهم ولكنهم لم يتصلوا بهم وربما كان ذلك لبعد المسافة ، وصعوبة الاتصال بين الشعوب فى تلك الفترة من الزمان . فقد ظهر هؤلاء الفلاسفة والحكماء فى الفترة ما بين : ٤٢٧ — ٣٤٧ ق . م .

بالإضافة إلى ذلك ، فان كل الرسالات السماوية التى سبقت الاسلام ، كانت رسالات محلية ، بمعنى أنها كانت تخص أقواما بعينهم ، ولم تكن رسالات أو دعوات عالمية .

وإننا لنلمح ذلك فى قوله تعالى : « إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ[1] » .

وكذلك قوله تعالى : « وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا[2] » .

---

(١) نوح — ١

(٢) الأعراف — ٨٥

## ٢ ـ افلاطون وفشله فى اقامة المجتمع الفاضل :

وإذا ما سلمنا بهذه النتيجة ، واقتنعنا بهذا الرأى فى كل من سقراط وأرسطو، فلنرى نموذجا آخر وهو أفلاطون . . . فهذا الفيلسوف مع حكمته التى اشتهر بها ، نجده قد ترك لنا كتابا حول مدينته الفاضلة ، التى يحلم بها أو المجتمع النموذجى الذى كان يأمل فى إنشائه ،ترى ماذا كانت دعائم هذه المدينة ،أو ذاك المجتمع كما تصوره فى مؤلفاته . . .

لو تأملنا ذلك جيدا ، لوجدنا أنه بالرغم من سلامة مقصده ونبل غايته فى إقامة مجتمع فاضل ، ودولة خيالية ، إلا أن الوسيلة إلى ذلك لم تكن فى نبل مقصده ، وسلامة نيته . إذ أنه سوف ينجب أطفالا يكونون ثمرة للزواج المشاع ، بين خيرى الرجال والنساء — كما يقول — لا نجاب نسل رفيع ومثالى من الأطفال ، الذين يعزلون فيما بعد — عن آبائهم وأمهاتهم تماما فى حضانة الدولة العامة ، ظنا منه بذلك ، أنه يلغى الأسر الخاصة ويحقق الأخوة العالمية ، ونسى أنه بذلك إنما يحرمهم من أسمى المشاعر وأرق العواطف وهى مشاعر الأبوة وحنان الأمومة .

وليس ذلك وكفى ، بل انه يبيح الإجهاض إذا ولد أطفال غير ما تقرره الدولة من حد الإنجاب، ويربى الأطفال فى هذه الدار ، ويعلمونهم الرياضة والموسيقى فقط ، إذ أن الرياضة تعنى بتربية الأجسام ، والموسيقى تسمو بالوجدان ، وترقق الحس والمشاعر .

شيء جميل أن يمارس الأبناء الرياضة ولكن ليست على طريقة أفلاطون لقد كانت تعاليمه تقضى بأن يمارس الصبيان والبنات الرياضة عرايا تماما وذلك حتى لا تعوقهم الملابس من ناحية ، ولازالة هذا الشعور الغريب الشعور بالخجل الكاذب — كما أسماه — من ناحية أخرى . أى أنهم سوف يجردون من كل الثياب ، ما عدا ثوب الفضيلة ، وكفى بثوب الحياء رداء — على حد قوله .

وتعجب معى — أيها القارئ الكريم— من أين يتأتى الحياء والخجل بعد ذلك :

ونجده قد قسم الدولة إلى طبقات ، طبقة العمالة الخسيسة أو معدن الدولة الخسيس وهم التجار والعمال والفلاحون ،وطبقة الجنود وهى الطبقة المتوسطة وطبقة الملوك والفلاسفة وهى الطبقة العلياالتى لا يرد لها أمر ولا يقطع بدونها رأى . .

أى تفرقة هذه ؟ وهل يمكن أن تكون هناك سعادة وسيادة لدولة كهذه؟

نعم . . ربما يكون لها من السيادة لفترةمن الزمان ولكننى لا أعتقد أن تكون هناك سعادة فى شعب كهذا ، والدول الشيوعية اليوم خير شاهد على ذلك ، فالشعب بفلاحيه وعماله فى جانب ، ورجال الحزب فى جانب آخر ولهم أوضاعهم وامتيازاتهم الخاصة ، وهذا بعينه مما يتكشف لنا يوما بعد يوم .

هذا هو نتاج العقل البشرى الذى وضع الفوارق بين الناس وكأنهم ليسوا لأب واحد ، وأم واحدة ، فى حين أننا نجد الإسلام قد ساوى بين الناس ، وقرر منذ زمن بعيد ، وما يزال يقرر فى وضوح وصراحةأن الناس سواسية كأسنان المشط ، ولا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى ، والعمل الصالح ، كما قال ﷺ [1] وقرر منذ أربعة عشر قرنا من الزمان . فليست المفاضلة اذن بكثرة المال ، ولا بالحسب فكل يكمل بعضه فيخرج المجتمع متكاملا ، وحدة واحدة ، لا يحقد فيه فرد على آخر ، ولا ينظر أى واحد من أبنائه إلى أخيه نظرة تكبر وغطرسة ، فكلهم لآدم وآدم من تراب ، ثم إن ابداء الرأى ليس قاصرا على طبقة معينة ، كما هو الحال فى دولة أفلاطون ، بل أن المجتمع كله على استعداد لان يستمع لأقل الناس شأنا فيه ، فهذا حقه الطبيعى الذى لا يمكن أن يصادر ، أو يمنع دونه فهذا عمر بن الخطاب وهو خليفة المسلمين ، يقف بينهم خطيبا على

---

(١) رواه البخارى والترمذى .

على المنبر ويستمع لرأى امرأة من المسلمين ، فيعدل عن رأية ، ورسول الاسلام ﷺ مع عظيم مكانته ، يستشير أصحابه ، ويأخذ برأى واحد منهم فى موقعة بدروهو الحباب بن المنذر . . . .

### ٣ ـ ابيقور ... وما اخذ عليه :

نعم . . . أليس هذا هو نتاج العقل البشرى ، وحصيلة فكره الذى أشاع بين الناس الرذيلة مثل أبيقور ! ! الذى جعل مدرسته أو أكاديميته فى الحدائق العامة ، وذلك حبا فى العلم ، ونشرا للمعرفة ، حتى أنه قد دعى اليها العاهرات ! !

ربما اتفقنا معه فى ذلك ، فالعلم يجب أن يكون للجميع ، ولا يحرم منه انسان أيا كان ، ولكن كيف يسمح لتلاميذه بعد ذلك ، أن يناموا سويا ، ويختلط الحابل بالنابل حتى جعل الناس يحملون عليه ، ويتهمونه بالفجور ثم نجد بعد هذا كله بعضا من المتحمسين لفلسفته يصر على أنه لم يدع إلى الاباحية واشاعة الجنس ! !

### ٤ ـ المجتمع الاسلامى بين النبوة والفلسفة :

أنظر معى ايها القارئ الكريم ـ كيف وأن دولة أفلاطون بغض النظر عن الأسس التى قامت عليها ، والتى حتى لو سلمنا جدلا بصحتها ، فانها لم تخرج عن حيز الفكر ، أو أنها مجرد أفكار مسطورة فى كتاب ، وحلم فى رأس مفكر وفيلسوف .

ولكننا إذا ما رجعنا إلى الإسلام ، ودققنا النظر فيه ، ولو على سبيل المشاكلة والمناظرة ، فاننا نجد أن نبى الإسلام محمدا ﷺ قد أقام مجتمعا فاضلا ، وعلى أسس متينة وقوية ، ربى فيه الرجال خير تربية وأدبهم أحسن تأديب ، وكيف لا يكون هذا حالهم ، وهم يسمعون نبيهم وهو يقول موجها وناصحا إياهم ، ومبينا لهم أن كمال الإيمان ، وتمام أمره فى حسن الخلق :

« أكمل المؤمنين إيمانا ، أحسنهم خلقاً » (١)

ويقول أيضا حاثا لهم على التمسك بكريم الأخلاق وحميد الصفات :

« إن من أحبكم إلى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة ، أحاسنكم أخلاقا » (٢)

لقد خرج رسول الاسلام ﷺ على العالم بمجتمع قوامه الحب والسلام ، والمودة والوئام . بمجتمع عرف معنى الإيثار ، وكل معانى التضحية ، والاقدام وعاشها سلوكا حيا فى واقع حياته ، فاستحق أن يسود العالم ، وينشر فيه الأمن والأمان .

لماذا لا نسائل أنفسنا ، كيف أقام نبي الإسلام هذا المجتمع العظيم ؟

ولماذا لم تظل فكرة إقامة مجتمع كهذا فكرة مجردة عالقة بالذهن ، أو حلما يحلم به الفلاسفة ، كدولة أفلاطون . . . مثلا

أقول ذلك ، وأنا أعلم تماما مدى اختلاف النبوة عن الفلسفة ، ويجب أن يكون ذلك واضحا لكل منا ، فنحن نعلم أن عطاء الأنبياء مختلف تماما عن نظرات الفلاسفة ، ومعارفهم الباردة العاجزة وأن مناهج النبوة فى هدايتها للبشرية ، وعطائها المتجدد مستمرة وتكتسب كل يوم مواقع جديدة حيث لم يبق لنظرات الفلاسفة الا بعض القيمة التاريخية التى لم تتجاوز الكتب والمكتبات ، أو حتى زمانها ، بل وقفت عنده ولم يكن لها نصيب من التغير الإجتماعى .

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) رواه الترمذى .

والإجابة عن هذا السؤال سهلة وميسورة ، وهى أنه بالإضافة إلى ما أسلفنا ذكره فان هذا المجتمع قد قام على شرع السماء ، وامتثل لأوامر رب العباد،من خلال منهج ربانى حكيم — لا يدانيه روعة وجمالا ، أى منهج من مناهج البشر — وضعه رب حكيم عليم،بالداءوالدواء، لا يغيب عنه شئ من أحوال البشر ، فهو أعلم بما يصلح به حالهم ومآلهم .

**٥ — مادية هيوم ... ومثالية بروكلى :**

ولنضرب مثالا آخر لبعض من مفكرى الغرب المحدثين،لنرى كيف حار العالم ، وإلى أى درجة شقيت الانسانية بآراء بعض من أبنائها كما شقيت بمادية « هيوم » مثلا . . . .

هذا الرجل الذى لو عرفنا الشئ اليسير من آرائه ، وكذلك سيرته الذاتية لسهل علينا الأمر وهان .

إنسان عانى من الفقر ما عانى ، وقسا عليه الزمان إلى حد ما ، فبدلا من أن تزيده الاحداث صلابة ، وصروف الدهر قوة وجلدا ، نجده للأسف لايرى فى الحياة سوى المادة ملجأ يحميه أو كهفا يأويه نجده يقبل أن يعلم الفلسفة لثرى مقابل ثلثمائة جنيه — وكان هذا المبلغ فى مثل هذا الوقت من الزمان عرض طيب ومغر — مع علمه التام بأن هذا الثرى مجنون ، ولا أمل فى شفائه ، وليس بينه وبين العلم سبيل ! !

ما أجمل هذا الاستقلال

بل ما أهونه

وهل يمكن أن يكون هذا سبيل الإنسان الذى ينشد العلم ،ويحرص على نشره ، وبهذه الصورة ؟ .

ولعلنا نستطيع أن نعرف سرعدائه للكتاب المقدس عندما يدعى إلى مأدبة عشاء ، ثم يجد عليها الكتاب المقدس ، فيطلب من الموجودين معه إبعاده عنه . . فيسأل فى ذلك . . فيجيب بكل بساطة :

« ان هذا الكتاب به من المثاليات ما به ، وأنا غير ذلك »[1]

ويعترف لجلسائه بكل بساطة أنه . . سيء الخلق .

وإن كان هناك من عذر يلتمس لهذا المفكر ، ولاضرابه من المفكرين فأنا من رأيي أقول :

ربما كان الظلام الذى كان يعيشه الغرب فى هذا الوقت من الزمان ، وما حوته كتبهم من أوهام وخرافات ، وما منحه رجال الدين لأنفسهم من سلطة مطلقة ، فى تسيير نظام المجتمع ، وتسلط على رقاب الناس ، وكبت للفكر و حبس للحريات : ربما كان كل ذلك دافعاً قويا لكراهيتهم للكتب المقدسة وبعدهم عنها . . .

ولكن ما هى النتيجة التى توصل اليها « د يفيد هيوم » بفلسفته ؟ إننا نجد الإجابة واضحة للعيان منه هو عند ما يسأله صديق له عن الحقيقة فيجيب بكل وضوح وثقة :

« الحقيقة هى ألا حقيقة »

وماذا لو قارنا بين «هيوم» هذا الذى يعد رائدا من رواد الفكر وبين رائد آخر من رواد الإنسانية ، ومنقذى البشرية ، وهو نبى الإسلام محمد ﷺ .

وإن كانت هذه المقارنة — إن جاز لنا عقدها — تعد ظلما بينا فى إثبات التفاوت بين الرجال ، على حد قول الشاعر الحكيم :

ألم تر أن السيف يزرى بقدره

إذا قيل أن هذا السيف أمضى من العصا

---

(١) أعلام الفكر الأوربى . ج ١ .

نعم . الأول لم تزده الأيام إلا بؤسا ، ولم يقو على الجلد ، وتحمل أعباء الحياة ، وأنوائها من فقر وبؤس ، وأما الثانى فبالرغم من أنه قد عانى من الفقر صغيرا وقاسى من آلام الحياة ما قاسى شابا ، وقد تمثل لنا ذلك فى أذى قومه له ، واضطهادهم إياه ، ولكن لم يزده ذلك إلا جلدا وقوة وفهما أعمق للحياة حتى أننا نجده يستشار من قبل قومه ، ويؤخذ برأيه ويلقب بالصادق الأمين قبل بعثته ﷺ

ولم يتقبل العالم مثالية « بر وكلى » لأن العالم البشرى به من هذا وذاك أى من البشرية والملائكية ، ولا يمكن أن يسير على وتيرة واحدة ، أو على نمط متماثل فالناس يتفاوتون فى أخلاقهم وطباعهم ، كما يتفاوتون ثراء وفقرا .

أنظر أيها القارئ الكريم لقد غالى كل من ديفيد هيوم وبروكلى فى ناحية وشط فيها ، ولم يصل إلى شئ ، ولكننا نجد الإسلام يسير بنا طريقا وسطا معتدلا ، لا يميل كل الميل إلى المادية ، ولكنه فى الوقت ذاته ، لا يهمل المثالية ، والفضيلة بحال منا لأحوال، فيطالبنا بأن نسعى فى الحياة ونجمع من المال ما وسعنا إلى ذلك سبيل ، على أن نؤدى فيه حق الفقير والمسكين ، وابن السبيل وبالطريقة التى يرضاها الله ورسوله .

أى منهج هذا ؟؟

وأى شرع هذا الذى يتواءم مع مطالب الإنسان فى الحياة، ومع طموحاته ولا يقف أمامها أو يعترض سبيلها ؟

**٦ ـ جون لوك واعترافه بقصور العقل :**

«وجون لوك» هذا المفكر الذي فى إمكاننا أن نصفه بالاعتدال فى آرائه نجده يعترف بقصور العقل البشري ، عندما يقول فى تواضع العالم والفيلسوف « إن عقولنا لم تخلق كبيرة كالحق ، ولا ميسرة لإدراك الأشياء جميعا ولكن علينا أن نتدبر ، وأن نعمل » .

نعم — فلو علم اخوانه من الفلاسفة هذا ، ووعوه جيدا . لوفروا على أنفسهم جهدا جهيدا ، ولم يلهبوا عقولهم ، ويشغلوا أذهانهم بما لم يكلف به الانسان مثل التفكير فيا وراء الطبيعة« الميتافيزيقا» وما شابه ذلك من مسائل مثل :

هل روح الإنسان فى عقله فقط ؟ أم فى جسده كله ؟ وهل العقل يسبق الجسد أم أن الجسد يسبق العقل ؟ إلى آخر هذه الأفكار وما شابهها من مسائل. . .

فى حين أننا نجد الإسلام عندما تحدث فى هذا الأمر لم يخض فيه كثيرا حتى لا يكلفنا فى ذلك عناء ، فاحترم الإنسان وراعى فيه عقليته القاصرة عن إدراك الحقائق العليا، وتفكيره المحدود ، فنجده تعالى يقول فى كتابه الكريم .

« وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا [1] » .

وكما يقول الأستاذ الشيخ محمد الغزالى :

« وكأننا قد وهبنا عقولا خلقت وهيئت لتتعرف على صفات الأشياء لا على حقيقتها »[2] .

نعم — لقد قطع الإسلام السبيل على الإنسان فى مثل هذه الأمور فأراحه ، ووفر عليه الجهد ، وحتى لا يضيع وقته فيما لا يفيد ، ولا يعود عليه بنفع أوجدوى :

أما بالنسبة لهم—مفكرى وفلاسفة الغرب— فانهم قد تشاغلوا فيما يدق على الإنسان فهمه، ثم نجدهم الواحد تلو الآخر فى النهاية وقد عادوا بلا شيء

---

(١) الإسراء ٨٥

(٢) كتاب« عقيدة المسلم » للشيخ محمد الغزالى .

وحصيلة جهدهم هو شغل أذهان الناس بأشياء ، ربما كانت تعد من الترف العقلى ، وجعلهم يعيشون فى حيرة وضياع ، بدلا من أن يعيشوا فى أمن وسلام . وكما قال القائل : وفسر الماء بعد الجهد بالماء وأن هذا ليذكرنا بمقالة الأمام العلامة الفخر الرازى عندما يقول :

نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سعى العالمين ضلال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقال
وكم من جبال علت شرفاتها رجال فزالوا والجبال جبال

**٧ ـ كانت ... ورحلته فى البحث عن الله :**

أما « كانت » هذا الفيلسوف الذى أنكر وجود الله فى كتابه الأول ؛ ثم عاد فأكد وجوده فى الكتاب الثانى ، ثم نجده يعترف بوجوده فى الكتاب الثالث « نقد العدالة » ، فاننا وان اتفقنا معه فى أن الإنسان يجب أن يستخدم عقله فى البحث والاستدلال للوصول إلى حقيقة معينة ، ولكن ربما نختلف معه فى الكثير من التصورات الخاصة بالله تعالى :

فأحيانا ينظر اليه باعتباره فنانا ، وأحيانا رساما ، وخلافه ، . . .

ولكن الله جل شأنه ، كما وصف نفسه فى كتابه الكريم :

لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١)

**٨ ـ منهج الشك بين ديكارت وطه حسين :**

وطالما وقد تعرضنا لآراء فلاسفة الغرب ، ونقدنا بعضا من أفكارهم وسيرتهم الذاتية ، فلا يمكن أن ننسى « رنيه ديكارت » الذى وصفت بالجبن والتهيب الناشئين فى غالب الظن ، مما لقيه من تدليل مسرف فى فجر

---

(١) الشورى — ١١

حياته ومع تقديرنا لمبدأ الشك للوصول إلى اليقين ، إلا أننا نتعجب حقيقة مما لاحظه عليه الفلاسفة والمفكرون من تضارب وتصادم بين آرائه ، وأفكاره عندما يعلن أنه يتبع أفكاره أينما قادته ، ثم يقول بعد ذلك :

« إننى أتبع قوانين بلادى ، وأستمسك بآراء أجدادى وآبائى » [1]

إننا نحترم مبادءه فى الفكر والفلسفة طالما وأنها قد قادته إلى االاعتراف بوجود الله خالقا للكون ومدبرا لشئونه . ولكننا لا نستطيع أن نسلم مع ذلك بصحة كل ما جاء به من فكر أو رأى .

وإننى لأستميح القارئ فى أن أعرج به إلى مسألة هامة وخطيرة فى أمور البحث والاستدلال ، طالما وأننا قد تعرضنا لذكر « ديكارت» ومنهجه الفلسفى فى اتخاذ الشك طريقا الى اليقين .

وهذه المسألة إنما تتمثل فى ما يجب أن نتصف به من الدقة فى الفهم عندما نريد أن ننقل أو نتعلم شيئا من أساتذة الغرب ومفكريه .

فعلى سبيل المثال ، يجب ألا نغفل كما فعل الدكتور طه حسين عندما ادعى أنه يستخدم « منهج ديكارت» فى الشك الفلسفى ؟ وفى الحقيقة فإنه قد أخطأ كثيرا فى الفهم عن ديكارت ومنهجه ذاك من ناحية ، وليغايظ الأزهريين حين قال لهم انهم لا يعرفون هذا المنهج من ناحية أخرى . وقد تصدى له الأستاذ محمد أحمد الغمراوى خريج كامبردج ، وقال له : ان ما قدمه ليس هو منهج ديكارت . بل ان الأستاذ الخضيرى ترجم كتاب ديكارت ( مقال عن المنهج) ليؤكد أن ماقدمه د طه حسين ليس هو منهج ديكارت ، وليبين فساد اقتباسه .

---

( ١ ) أعلام الفكر الأوروبىعثمان نوية .

( ١ ) طبعة المكتبة السلفية( ١٩٣٠ ) لصاحبها محب الدين الخطيب .

وقد تبين من بعد ، أن ديكارت قرأ ترجمة كتاب ( المنقذ من الضلال) للامام الغزالى ، وأشار على نسخته الخاصة الموجودة فى مكتبته المهداة إلى السوربون على الهامش أمام عبارة الغزالى عن ( اتخاذ الشك طريقا إلى اليقين ) (١)

ولكن د . طه حسين استعمل هذه النظرية لشيء آخر ، لإنكار كل قطعي حقيقي ويقيني ، ولقطع الطريق على القيم الجامعة المتكاملة . ولفصل الأدب عن الفكر ، ولأن يترك الباحث المسلم دينه وقوميته ، عندما يبحث فى أى أمر من الأمور ، وهذا غاية فى الخطأ والتمويه وفساد الرأى .

ولقد عالج هذه القضية ، الأستاذ الغمراوي فى كتابه ( النقد التحليلى للأدب الجاهلى ) فقال :

١ — انه تذرع بما سماه القاعدة الأساسية لمذهب ديكارت ، لينطلق به إلى الانسلاخ من كل قديم فى هذه اللغة التى هو أستاذ لآدابها . وليتخذه ذريعة يرمى وراءها هذه اللغة ، وما اتصل بها ، حتى إذا قيل له لم فعلت ما فعلت وهل يفعل هذا عاقل ، قال فعل قبلى ديكارت .

٢ — لقد خلط الدكتور طه بين الشك وبين المخرج من الشك فجعل الشك القاعدة الأساسية للمنهج الذى ابتغى ديكارت أن يتخلص به من الشك والذى أدى به فى بعض ميادين البحث إلى نتائج عظيمة .

٣ — ليس صحيحا ما ذكره الدكتور طه من القاعدة الأساسية لمنهج الشك عند ديكارت ، أن يتجرد الباحث من كل شيء كان يعلمه من قبل وأن يستقبل موضوع بحثه خالى الذهن مما قيل فيه خلوا تاما . وهذا قطعا ليس من قواعد منهج ديكارت . فان الذى قاله ديكارت هو أنه يجب علينا ألا نقول عن شيء أنه حق ، إلا إذا قام البرهان على أنه كذلك .

---

( ١ ) من مقال بعنوان« نظرية ديكارت ومنهج الشك الفلسفى فى كتاب الأدب الجاهلى » للأستاذ أنور الجندى بتصرف . منار الإسلام العدد الثامن . السنة الثامنة ١٩٨٣م .

وشتان بين هذا المعنى ، وبين المعنى الذى زعم الدكتور من وجوب التجرد من كل ما قيل فى موضوع البحث من قبل ، إذ من الجائز أن يكون ما قيل قد قام البرهان على صحته . ثم بدهى أن تلك القاعدة من معناها أن يتولى كل إنسان إثبات كل شيء لنفسه بنفسه . كما تقتضيه القاعدة الأساسية التى زعم الدكتور ، لأن ذلك سخف لا ينتج عنه إلا التأخر والخطأ والفوضى .

٤ — الواقع أن كلا من ديكارت وبسكال ، مسبوق إلى ما عرف باسمه من قواعد النظر ، سبقهما الغزالى على الأقل قبل ذلك بقرون — كما تشهد بذلك كتبه — مثل كتاب ( محك النظر ) و( معيار العلم ) . والغرب معذور حين ينسب بعض تلك القواعد الى ديكارت وبعضها إلى بسكال . فهما أول من أظهراه عليها ، ولكن ما عذر الدكتور طه حين ينسب إلى ديكارت منهجا سبقه إليه الغزالى ، الأن الدكتور كان — يجهل مذهب الغزالى فى النظر ، أم لأن الغرب نسب وهو للغرب تابع ؟

٥ — وإذا سلمنا بأن الدكتور طه حسين كان تابعا حقا لفلسفة ديكارت فلماذا قال عبارته المشهورة وما شابهها من أقوال ؟؟

«للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل ، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا ، ولكن ورود هذين الاسمين فى التوراة والقرآن لا يكفى لإثبات وجودهما التاريخى ، فضلا عن إثبات هذه القصة » .

نعم . . كيف ذلك وهو يعلم أن من قواعد أو حقائق فلسفة ديكارت التى توصل إليها بنفسه :

« إن ما وجد فى الدين واضحا جليا ، فهو حق يجب أن يسلم به تسليما» من أجل هذا كله ، كأن منهج ديكارت كما فهمه وطبقه د . طه حسين منهجا غير علمى يفرق بين المجهود العلمى ، ويدخل الفوضى فى العلم ثم إن هناك شيئا هاما كان يجب تداركه وهو أن عظمة ديكارت لم تكن راجعة إلى

أنه شك"، ولكن إلى أنه تطلب مخرجا من الشك ، واهتدى إلى طريقة فى البحث خرج بها إلى بحبوحة اليقين . ثم يرجع إلى أنه حقق تلك الطريقة فأثمرت فى الرياضة ولم تثمر معه فى الفلسفة والطبيعة إلا قليلا مما يأخذ به العلم اليوم .

ألا يحق لنا أن نقول فى وضوح بعد ذلك كله أن د . طه حسين كان فى كل عمله يقوم على العجلة والهوى ، وأنه كان حريصا على إثارة الشكوك حول جميع النصوص والوقائع التى صادفته فى جميع كتبه .

ذلك أنه لم يسر فى منهج بحثه على منهج ديكارت كما زعم ، بل سار فى هذا على منهج التلمودية الذي عرفته كتابات فرويد ودوركايم ، وهى أن يسأل ويثير الشك ، ثم يترك القارئ أو من يتحدث إليه فى حيرة . فلا يهديه إلى شيء من اليقين ، لأن الهدف هو خلق هذا الجو من « الشك» والذى كان مصدر الفكر التقريبى كله ، وقاعدة العمل التى قام عليها الاستشراق والتبشير فى العالم العربى والإسلامى . . وهذا هو مكمن الخطر .

ويقول الأستاذ العلامة محمود محمد شاكر :

« إن اتكاء طه حسين على ديكارت إتكاء فيه كثير من المغالطة ، بل فيه إرادة التهويل بذكر ديكارت الفيلسوف ، مع أن الدكتور فى محاضراته ليس من منهج ديكارت فى شئ . وقد صارحته بهذا فى حينه وقلت له ان ما يقوله عن المنهج وعن الشك غامض ، وأنه مخالف لما يقوله ديكارت . وأن تطبيق منهجه هذا قائم على التسليم تسليما لم يدخله الشك بروايات فى الكتب هى فى ذاتها محفوفة بالشك ، فانتهرنى الدكتور طه حسين وأسكتنى»

ونخلص من كل هذا إلى أن ( منهج الشك ) الذى حمله د . طه حسين ليس هو منهج الغزالى الذى اصطنع منهج الشك البصير ، ولا منهج ديكارت الذى قصد به الخروج من دائرة الأساطير ، وإنما هو منهج زائف يراد به

اثارة الشبهات فى وجه كل حقيقة علمية دينية يقينية وإثارة كل عوامل القلق والاضطراب فى نفوس الشباب المسلم ، لينكر قيمه الأساسية .

ومن هنا فقد كان كل كتاب التغريب وما زالوا ، يعلنون إعجابهم بمذهب الشك الذي قدمه طه حسين لأنه أفسد العقول والقلوب ، وقضى على اليقين والإيمان فى قلوب رخوة فى فترة لم يكن فيها غذاء روحى وثقافى كاف لمقاومة الشبهات والشكوك المثارة ، أما اليوم فعلى ما أرى فان الأمر يختلف تماما ولله الحمد .

**٩ — طه حسين وفلسفة ابن خلدون :**

وإذا ما أردنا أن نقف من أعمال الدكتور طه حسين موقف الناقد الدارس والفاحص لكتاباته وأفكاره . . فإننا سوف نجد العجب العجاب فى أطروحته لنيل درجة الدكتوراه ( ١٩١٧ م) والتى كان موضوعها « فلسفة ابن خلدون الاجتماعية » لقد أنكر وهو العربى المسلم — فضل رجل يفخر به كل عربى مسلم ، وعملاق أشاد به علماء الشرق والغرب والذي أجمعت كل الأراء على أنه منشىء علوم التاريخ والاجتماع والاقتصاد بشهادة علماء الغرب أنفسهم .

نعم . . أنكر فضل رجل وجد من علماء الغرب غاية التقدير والإنصاف ، فأى سبة لطه حسين أكبر من أن يلطخ وجه عظيم من عظماء أمتنا فى محفل غربى حاقد ، وينقصه ، ثم يشاء الله ألا يبلغ غايته فى نفاق الأستاذ المشرف اليهودى « دور كايم» الذى توفى قبل مناقشة الرسالة .

ولقد كان الحقد على ابن خلدون راجعا إلى أن منهجه استمده من القرآن الكريم وليس من أى مصدر آخر .

ولن أخوض فى ذلك كثيرا ، فقد تحدث فى ذلك الكثيرون من المتخصصين فى علم الاجتماع وسوف استشهد ببعض منهم . . .

لقد قرر الدكتور محمد غلاب فى مقال له :[1]

« إن طه حسين تحامل على ابن خلدون ونفى عنه صفة الاجتماعى من أجل إرضاء أعضاء لجنة الامتحان ، الذين كانوا يرون أن ابن خلدون لا يستحق لقب اجتماعى . فاندفع وراءهم إتقاء لشرهم أو قسوتهم وقد أشار الباحثون إلى أنه نقل آراء دور كايم عن ابن خلدون واعتبره أساسا للبحث ودور كايم مؤرخ يهودى من أتباع النظرية الماركسية ورأيه فى ابن خلدون مشوب بالتعصب وقد اعترف الباحثون الغربيون المنصفون بسبق ابن خلدون للفلاسفة الغربيين فى وضع أسس الاجتماع والاقتصاد السياسى . أمثال «آدم سميث» « وأوغست كونت» وبينهما أربعة قرون كاملة .

وقد درس ابن خلدون الظواهر الاجتماعية على أساس استمد ، من القرآن الكريم ، وقرر أن الظواهر العمرانية فى نزاحها وتواليها تحكمها قوانين وكانت وسيلته فى الدراسة الاستقراء والقياس . . ومن هذه المقدمة بدأت بذور الفكر الاقتصادى مما عده الباحثون من بعد ، نقطة بدء للمدرسة العلمية فى الاقتصاد . وقد أكد المنصفون من الباحثين أن آراءه لم تكن مجرد جمع لمعارف منوعة ولكنها جاءت كعمل منظم ومرتب ينطبق عليه لفظ العلم فى معناه الدقيق . .

وقال استغانوا كولوزيو الإيطالى :

« ان هذا المؤرخ العربى العظيم اكتشف مبادىء العدالة الاجتماعية والاقتصاد السياسى قبل كونسيد ران ، وماركس ، وباكونية بعدة قرون ، وأن ما يعزوه من شأن كبير إلى دور العمل والأجرة الملكية يجعله إماما لاقتصاديى هذا العصر » .

---

(١) مجلة النهضة الفكرية ٢٦ أكتوبر ١٩٣١م .

ويقول أرنولد توينبي الفيلسوف والمؤرخ البريطاني :

« إن ابن خلدون فى المقدمة » التى كتبها لتاريخه العام قد أدرك وأنشأ « فلسفة التاريخ » وهى بلا شك أعظم عمل من نوعه أبدعه أى عقل بشرى فى أى زمان ومكان » .

ويقول سارتون فى كتابه مدخل العلم : « إنه لمن المدهش أن يكون ابن خلدون قد توصل فى تفكيره إلى اصطناع ما يسمى اليوم بطريقة البحث التاريخى » .

أرأيت أيها القارىء الكريم . أليس من دواعى الأسف والألم أن يعرف الغربيون فضل ابن خلدون قبل أن يعرفه الشرقيون أنفسهم ولكن المؤلم حقا والذى يدمع له القلب قبل العين حقيقة ، أن يقوم بعض الشرقيين مثل الدكتور طه وأضرابه بالحط من قدر ابن خلدون بعد أن جهد الغربيون كل الجهد فى نشر فضائله واظهارها . وانه ليشاركنى هذا الرأى الدكتور — عمر فروخ وبعض الجادين فى بحث مسائل الفكر والحضارة أمثال الأستاذ الكبير — أنور الجندى [1]

وعلى العموم ، فان ما ذهب إليه الدكتور طه حسين ، هو رأى فرد وفرد واحد لا يشين ، يقول « الدكتور شحاته سعفان » مبينا ومشيرا إلى هذا المعنى : « ان عدم اعتراف طه حسين بابن خلدون فى مقدمته مؤسسا لعلم الاجتماع مبالغة جسيمة . وإن كان هذا رأى طه حسين فى ابن خلدون ، فان كثيرا من علماء الاجتماع فى مصر ودارسيه لا يؤيدونه بل ويعتقدون أن ابن خلدون كان أول عالم من علماء الاجتماع » .

وماذا يقول الباحث حقيقة بعد ما قاله « جورج سارطون » :

---

(١) مجلة منار الإسلام . العدد الحادى عشر السنة الثانية سبتمبر ١٩٨٣م .

« أسمى العصر الذى سبق العصور الحديثة فى العالم كله : عصر ابن خلدون أقولها كلمة أخيرة :

على أية حال فلقد عقد أضخم مؤتمر لابن خلدون عام ١٩٦٢ م فى القاهرة حيث عاش ابن خلدون ودفن ، جمعت أبحاثه فى مجلد ضخم بلغ ٨٠٠ صفحة يمكن أن يقدم لطه حسين وأساتذة التغريب .. وكذلك إلى أساتذته المستشرقين الذين أشرفوا على رسالته أمثال دور كايم ، وليفى بريل ( اليهوديان ) وكازانوفا .

**١٠ — فرنسيس بيكون ... فيلسوف :**

ومع تقديرنا لفكر البعض من مفكرى وفلاسفة الغرب ، إلا أننا نجد أن منهم من دخل التاريخ من أوسع أبوابه ، وحاز شهرة واسعة فى سجل التاريخ ، ولكن ربما تعجبت معى ، كيف تسنى له ذلك ؟

نعم كيف وهو لم يقدم ما يستحق عليه كل هذا الثناء ، أو تلك المكانة بل ان حياته كانت بعيدة تماما كل البعد عما كان يدعو الناس إليه ، ولو كانت لديه ثقة فيما قدم للناس من فكر ، أو ارتأى فيه خيراً ، لكان أسبقهم إليه . « مثل فرنسيس بيكون » هذا الفيلسوف الذى كان وصوليا إلى أبعد الحدود ، لدرجة جعلته يعض اليد التى امتدت إليه بالعون والمساعدة ولا يكفيه ذلك ، بل يصل به إلى حبل المشنقة ليعدم ... ولعل أمره مع لورد — أسكس — كفيلا بايضاح ذلك كله .

ولعلك تتساءل أيها القارىء الكريم — ما الذى دعا بيكون أن يدفع بخير أصدقائه إلى الموت ؟

إن اللورد كان يمنحه الهبة تلو الهبة ، وقضى عنه ديونه ومهد له الطريق للوصول إلى قلب الملكة « اليزابيث الأولى » وأخذ فرنسيس بيكون يكتب أحاديث يتملق بها غرور الملكة وزهوها ، ونشر بحوثا سياسية تمجد عهدها حتى قالت الملكة :

« لقد أخذ مستر بيكون يتشكل على النحو الذى نريد » ومنحه اللورد أسكس بعدها أيضا منزلا غنيا وجميلا لقد كان الثمن لغدره بصاحبه وصديقه وشهادته ضده ، هو مائتى ألف من الجنيهات ، أصابها من الدولة جزاء ما قدم لها من خدمات ، وقال محزونا وهو يضعها فى جيبه :

« قدمت إلى الملكة شيئا ، ولكنه يقل عما كنت أرجو » فقط كان يطمع فى منصب خطير فى إنجلترا كقاض مثلا أو رئيسا للسجلات :

ونظرة أخرى نلقيها على حياة ذلك الفيلسوف فنراه بعد أن رحلت الملكة « اليصابات » وحل محلها الملك « جيمس الأول » الذى كان صديقا حميما لأسكس ، فماذا كان موقف فيلسوفنا العظيم ؟

لقد حاول كثيرا ومرارا ، بل وأصر على أن يعقد بين الملك وبينه صلة شخصية مهما كلفه ذلك من ثمن ، وكان الملك شديد الطرب للصوت المتملق فأمطره بيكون صيبا من الرسائل يشبه فيها هذا الرجل العادى ... « بالله تعالى محرك الكون الأول » .

كذلك لم يدع فرصة تمر فى البرلمان . وكان من أعضائه — إلا انتهزها للدفاع عن سياسة الملك المناهضة للحرية المجحفة بالعدالة ، المتصامة عن صوت الشعب ، والقانون العام ، وعن ضرائبه غير المشروعة التى أتخمت خزائنه وجعلته فى غنى عن ممثلى الشعب ... وأسرف بيكون فى اقتراح أساليب عملية تفضل الأساليب المستعملة لكبح جماح حكومة الشعب ، ونجده يتزوج فى هذه الأثناء من ابنة أحد العمد ، ولما هنىء بهذه المناسبة السعيدة ، أجاب إجابة جافة بأن :

« أحواله المالية تحسنت بعض التحسن بفضل هذه الصفقة ... »

عجبا لرجل عاش حياته لنفسه فقط ، واعتاد على ظلم الآخرين ، ثم يسجل فى التاريخ كرجل عاش للحرية والمساواة بين الناس ، والدفاع عن حقوقهم وهو أول من هضم حقوق الآخرين تجاهه ، وقديما قال الحكماء :

ما أستحق أن يولد من عاش لنفسه فقط

أليسوا هؤلاء من نعتبرهم أساطين الفكر ، وهداة البشرية ، ومصلحى الإنسانية ؟ وغيرهم كثير وكثير مثل جان بول سارتر ومذهبه الوجودى ، وسيجموند فرويد مؤسس مدرسة التحليل النفسى ، وتفسيره الشاذ والغريب لتعلق البنت بأبيها ، أو تعلق الولد بأمه . وسمى ذلك عقدا نفسية مثل عقدة أوديب واليكترا .

## ١١ — العلاج النفسى بين سيجموند فرويد ... والاتصال بالله تعالى والاستغفار له

على ما أعتقد ، فان « سيجموند فرويد » قد نظر إلى تلك الأمور الفطرية من خلال حياته الشخصية ، وحكم عليها من هذا المنطلق ، ثم جعل ذلك حكما عاما ، وشاملا على الجنس البشرى ، وكأن ما يحدث له كفرد يجب أن يكون نفس الشيء للناس جميعا ، وهذا محال بالطبع .. والأغرب من ذلك ، ما قد حكاه ورواه أصحابه عنه بعد وفاته من تعاطيه للمخدرات فى حياته ، ونصحه بذلك لأصدقائه قائلا لهم :

« ان هذا — أى تعاطى هذه المواد — ينقلك إلى عالم آخر ، حيث السعادة والنشوة ... » .

أما إذا أردنا أن نتعرض لمذهب فرويد فى التحليل النفسى ، فإننا سوف نجد أنه بالرغم من أن هذا المذهب قد آمن به فى العلاج كثير من الأطباء حتى الآن ، إلا أن هذا المذهب أو تلك النظرية تؤدى إلى إنكار وجود الله تعالى وإنكار المثل العليا فى الأخلاق. ومن العجب أن يدعى فرويد عكس ذلك تماما ، ويزعم أن الارتباط المستمر بين الدين والأخلاق سوف يؤدى فى النهاية إلى تحطيم كل القيم الأخلاقية . وقد قيل أن مذهب فرويد فى التحليل النفسى يعد تطبيقا لنظرية التطور فى مجال علم النفس . ومن هنا نفهم أن فرويد كان ملحدا وأن نظريته فى العلاج بالتحليل النفسى ، لمختلف الأمراض النفسية ، إنما بنيت على فكر الحادى خاطىء ولنناقش نظرية فرويد فى العلاج بالتحليل النفسى مناقشة موضوعية من منطلق علمى بحت ، ونقارن بينهما وبين شفاء الأمراض التى تعترى النفس البشرية ، بالاتصال بالله تعالى والإيمان به والإستغفار له .

من هذا المنطلق، وبهذا المفهوم كتب الدكتور أحمد شوقى إبراهيم بحثا جاء فيه[1] :

يعتقد فرويد — مؤسس مدرسة التحليل النفسى ، أن الأمراض النفسية هى نتيجة كبت لرغبات الغرائز الجنسية — تلك الرغبات التى لا يقرها الدين أو لا يرضى المجتمع عنها أو لا يسمح العرف بها ... فيضطر صاحبها إلى أن يكبتها فى عقله الباطن بشكل لا شعورى بقصد اخفائها وتجاهلها ولكنها دائما .. بسبب ما يحيط بالإنسان من شحنات عاطفية — تحاول الظهور إلى الوعى وتسعى دائما إلى التعبير عن نفسها فى الوقت الذى يحاول فيه الإنسان كبتها وحبسها فى اللاشعور ... وبين محاولة الكبت ومحاولة الظهور .. ينشأ نوع من الصراع النفسى . يسبب مرضا نفسيا .. والمرض النفسى قد يكون بسيطا وقد يكون شديداً . ويرى فرويد أن علاج الأمراض النفسية هو التحليل النفسى ومجمل التحليل النفسى أن يسترخى المريض تماماً ويساعد على ذلك ببعض العقاقير المهدئة .. ثم يحدث بكل ما فى نفسه للطبيب النفسانى بصوت مسموع وهذا فى حقيقته نوع من اعتراف صريح من المريض للطبيب بكل الأخطاء التى ارتكبها .. وكل الظروف التى تأثر بها . . والتى ربما كان قد نسى بعضها ولكنها ترسبت فى نفسه وأحدثت بها عقداً نفسية .

والهدف من التحليل النفسى هو الكشف عن الأخطاء والذنوب فيراها المريض نفسه ويشعر بها فى الوعى . . هنالك يحدث صلح بين النفس والضمير فيتسامح ضمير المريض .. ويكف عن لوم النفس فينزاح عن النفس عبء ثقيل فيستريح المريض وتتحسن حالته ..

هذا ما قاله فرويد مؤسس مدرسة العلاج بالتحليل النفسى وسار عليها كثير من الأطباء من بعده زمنا طويلا . وإذا حاولنا أن نقارن بين نظرية فرويد

---

(١) مجلة الوعى الإسلامى/العدد ٢٠٢/١٩٨١م .

فى علاج الأمراض النفسية بالتحليل النفسى وبين شفاء تلك الأمراض باتصال المريض بالله ومداومة الاستغفار له سبحانه لوجدنا — أن القرآن الكريم فيه شفاء للناس أكثر وأجدى مما فى العلاج بالتحليل النفسى وذلك للأسباب التالية :

أولا — التحليل النفسى هو اعتراف من المريض بأخطائه وهمومه ومشاكله لإنسان آخر — هو الطبيب — يعلم أنه لا يملك له ضرا ولا نفعا .. وربما تحسب فى حديثه إليه وأستحيى من أن يطلعه على كل ما بنفسه من هموم أو مشاكل .. أما الاستغفار فهو إفضاء المريض بكل ما فى نفسه إلى خالقه تعالى .. والمريض هنا يعلم يقينا أن الله تبارك وتعالى بيده الأمر كله وأنه لا ملجأ منه إلا إليه .

ثانيا — التحليل النفسى هو محاولة لأخذ الاعتراف من المريض وسحبه منه سحبا .. أما الاستغفار لله فهو طلب المغفرة من أخطاء اعترف بها فهو اعتراف كامل وصريح ، طواعية واختيارا بدون أى ضغط .. ومن أقرب طريق .

ثالثا — التحليل النفسى لابد وأن يكون أمام طبيب نفسى .. ولابد وأن يأخذ المريض موعدا ، وينتظر دوره ، فالطبيب ليس حاضرا فى كل وقت وغير موجود فى أى لحظة يحتاج إليه المريض إذا حدثت له أزمة نفسية مفاجئة أما الاستغفار لله تعالى فبابه مفتوح لمن يريد .. بدون إجراءات وبدون تحديد موعد وبدون انتظار . والله تعالى تفضل على عباده ، فحثهم على الاستغفار له وشجعهم على ذلك كما فى قوله تعالى :

« أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١) » .

وكما فى قوله تعالى :

« وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ (٢) » .

---

(١) المائدة — ٧٤

(٢) هود — ٩٠

رابعاً — لا يزيل التحليل النفسى ما فى قلب المريض من خوف من محاسبة الله تعالى له ، فلا يمنحه الطمأنية والارتياح .. أما الاستغفار لله تعالى فهو يزيل كل قلق وخوف من محاسبة الله له .. وذلك لأن الخالق سبحانه وعد المستغفر له بالصفح والمغفرة والرحمة ونجد ما يشير إلى ذلك فى قوله تعالى :

ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما »(١)

وفى قوله تعالى :

« وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢) » .

خامساً — ليس فى وسع أى طبيب أن يعد مريضاً وعداً قاطعاً بالشفاء فعلاج الطبيب محاولة تنجح أولا تنجح .. أما نتيجة الاستغفار لله تعالى فهى نتيجة حتمية .. فيها العفو والمغفرة والصفح من الله تعالى للانسان .. مهما أسرف فى الخطأ .. ومهما أوغل فى طلب المعصية إذا كف عن الخطأ وأقلع عن المعصية. و تقرأ قولا كريماً يطمئن النفس البشرية ويريحها فى قوله تعالى :

« قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٣) » .

وفى قوله تعالى :

« فَمَنْ تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٤) » .

---

(١) النساء / ١١٠
(٢) الأنعام/٥٤
(٣) الزمر/٥٣
(٤) المائدة / ٣٩

وإذا كان التحليل النفسى وسيلة من وسائل العلاج ، فإن الاستغفار لله وكلماته تعالى هى الشفاء وفيها الشفاء للنفس البشرية من آلامها وأمراضها .

يقول تعالى :

« وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا [(١)] » .

سادسا — إن التحليل النفسى قد يساعد المريض فى أن يكف الضمير عن محاسبة النفس عما حدث فى الماضى . . أما الاستغفار لله تعالى فهو أعم وأشمل فائدة وشفاء . . فهو يشفيه مما حدث منه فى الماضى ، ويأخذ بيده فى شدته فى الحاضر ، ويرشده إلى طريق العلاج فى المستقبل . فهو يطمئنه ويريح قلبه فى عطف وحنان كما فى قوله تعالى :

« وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ »[(٢)] فانه يمنح الطمأنينة للنفس ، لإحساسها بالأنس بالله تعالى .

وقوله تعالى : « قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا [(٣)] » .

يزيل من النفس التوجس والقلق والخوف ،

وقوله تعالى : « وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ [(٤)] » .

يمنح الإنسان مزيدا من القوة ، ويعطيه قسطا أوفر من التحمل والصمود فى مواجهة الشدائد ، وقوله تعالى :

« وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ »[(٥)] يريح النفس تماماً لأنه يزيل عنها الأعباء التى تنؤ بحملها .

---

(١) الإسراء/٨٢
(٢) النساء/٨١
(٣) التوبة/٥١
(٤) النحل/١٢٧
(٥) الإنسان/٣٠

سابعاً — المريض بمرض نفسى يشعر بالوحدة . . فهو يحتاج للطبيب فى كل وقت ، ولكن الطبيب ليس معه دائما . .أما من يتجه إلى الله تعالى بالاستغفار فإن القرآن الكريم يعلمه أن الله معه فى كل وقت . . وفى كل مكان لا يتركه لحظة . . ولا ينصرف عنه مطلقاً كما فى قوله تعالى :

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا »(١) .

وإذا تفكرنا فى هذه الآية نجد أنها بدأت بتقرير علم الله الشامل لكل ما فى السماوات والأرض . . ثم جاءت بعد ذلك بتقرير وجوده تعالى مع كل مخلوق فتشعر المخلوق الضعيف بأن الخالق تبارك وتعالى لا تشغله أمور ملكوته عن النظر إليه دائماً . . والقرب منه أبداً . . وذلك يجلب للإنسان شعور الأنس والطمأنينة والسعادة والارتياح . . ونقرأ قولا كريما مريحا للنفس البشرية وشافيا لآلامها ومتاعبها وأمراضها فى قوله تعالى :

« وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ »(٢) .

ونلاحظ أن الله تعالى لم يقل « إذا سألك المؤمنون عنى » . . وإنما أضفى — جل وعلا — على المستغفرين كرامة وعزة ومقاما كريما بإضافة إسمهم إليه . تعالى فقال : « وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي . . . » فأضاف إليهم شرف عبوديتهم لله . . وما أعظمه من شرف . . كذلك لم تقل الآية « وإذا سألك عبادى فإنى سأسمع دعاءهم وسأجيبه » ولكن الله تعالى — وهو الكريم الجواد البر الرحيم — عجل بإجابة الدعوة بمجرد طلبها فقال تعالى :

« وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ » .

---

(١) المجادلة / ٧ (٢) البقرة / ١٨٦

ثامناً — المريض قد يثق بالطبيب . . ولكنها لن تكون ثقة مطلقة ذلك لأن الطبيب إنسان يخطئ ويصيب — أما المستغفر لله فلا تملؤه الثقة المطلقة بالله تعالى فحسب . . ولكنه اليقين التام والإيمان الكامل وشتان بين ثقة مهزوزة بإنسان . . وإيمان ويقين بالله تبارك وتعالى علوا كبيرا والاستغفار طريق الإيمان بالله تعالى . . والإيمان يمنح الإنسان فوائد لا تحصى وقد تواترت الآيات الكريمة التي تدعو إلى الاستغفار لله تعالى والإيمان به لأن للايمان الأثر العظيم فى علاج آلام النفس البشرية وأمراضها . فالإيمان بالله تعالى يحرر الإنسان من تصوراته الدنيوية فيزول ما فى قلبه من قلق . والإيمان يجعل الإنسان يحس بأن له عند خالقه مكانة وكرامة، وقوله تعالى:

« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » [1]

تشعر الإنسان بالعزة والكرامة والطمأنينة . . ويملأ نفسه — إذا أخطأت — بالأمل العريض فى صفح الله وغفرانه إذا قرأ قوله تعالى :

« إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا » [2] .

وجاء العصر الحديث يحمل لنا الدليل على خطأ نظرية فرويد فى العلاج بالتحليل النفسى . فأساس نظرية فرويد أن سبب المرض النفسى هو كبت رغبات الغرائز الحسية بشكل لا شعورى إذا كان الدين لا يقرها أو كان المجتمع لا يرضى عنها ، ولكنها تحاول الظهور إلى الوعى بين الحين والحين فيكبتها مرة أخرى وبين محاولات الكبت والظهور ينشأ الصراع النفسى ... وتحدث بسببه الأمراض النفسية — ولكننا نرى اليوم الدليل على خطأ تلك النظرية فى المجتمعات الغربية كما فى الدول الاسكندنافية وأوربا الغربية وغيرها .

---

(١) المنافقون / ٨

(٢) الفرقان / ٧٠

فالمجتمعات هناك لا ترفض تلبية أى رغبة لغرائز الإنسان ولا يعترض العرف هناك على ذلك . . إذن ليس هناك كبت لرغبات الغرائز الحسية . . فلو كانت نظرية فرويد صحيحة لا نعدمت الأمراض النفسية فى تلك المجتمعات...ولكن العكس هو ما حدث تماما فان عدد حالات الأمراض النفسية فى تلك المجتمعات فى ازدياد مستمر ، والإقدام على الانتحار فى أعلى معدل له .

هذا فضلا عن أن أصحاب مدرسة العلاج بالتحليل النفسى لم يستطيعوا تفسير نجاح علاج الاكتئاب النفسى بالعقاقير الطبية ، وبالصدمات الكهربائية بدون مزاولة التحليل النفسى على الإطلاق .

من هنا نفهم أن نظرية فرويد فى العلاج بالتحليل النفسى لأمراض النفس نظرية خاطئة وأساسها خاطئ . . وإن الفكر الإلحادى الذى بنيت عليه كان خاطئا أيضا . . وأنه من الأجدى للانسان ألا يعتمد على نظريات تتأرجح بين الصواب حينا والخطأ أحيانا . . بل يتجه رأساً إلى الحق واليقين . . إلى الشفاء الأكيد وهو الاتجاه إلى الله تعالى والاستغفار له .

إننا لو أردنا أن نكتب عن فكر كل واحد من مفكرى الغرب وفلاسفته وأن نحصيهم عددا لضاق بنا المقام . لأن ذلك يستلزم منا كتابا منفصلا ودراسات أكثر تخصصا — كما سبق أن أشرنا فى بداية هذا الباب — ولكن ما أردنا إلا أن نعطى لمحة سريعة أو نظرة خاطفة على البعض منهم كنماذج وأمثلة لأبناء الغرب من المفكرين والفلاسفة وشيئا من أفكارهم وآرائهم .

# الباب الخامس

# الغرب وانهيار الحضارة المادية

أولا : الأسرة فى المجتمع العربى .

ثانيا : فساد الحياة الغربية .

ثالثا : ماذا يقولون عنا ؟ .

رابعا : قضية المرأة بين الاسلام والفكر الغربى :

(أ) مفهوم الحرية لدى المرأة .

(ب) المرأة والعودة الى البيت .

(ج) المرأة فى الغرب وخطوات على الطريق القويم .

خامسا : نهاية المطاف : فشل الحضارة الغربية .

# الباب الخامس

## الغرب وانهيار الحضارة المـادية

من الطبيعي بعد هذا العرض للبعض من مفكرى الغرب وفلاسفته ، أن نتسائل ما الذى استفاده الغرب من تطبيقه لتلك المناهج البشرية التى استقاها من هذه الأفكار وتلك الفلسفات !!

وهل حققت له السعادة التى كان ينشدها . والأمن الذى يريده .

أم بات يخشى على نفسه من الضياع والهلاك ، وأصبح يعيش فى بؤس وقلق ؟ وإذا كان التقدم المادى فى الغرب وفر للانسان هناك كل وسائل الراحة والسعادة ، فلماذا تتعدد وتزداد حالات الانتحار يوما بعد يوم ...

إنها تساؤلات كثيرة وسوف تتضح الإجابة عنها ، بعد أن ترى الصورة التى يعيش عليها الغرب اليوم ، وبعض المشاكل التى أصبحت تهدد حياة الإنسان الأوربى بصورة خطيرة ، وتدمر المجتمع بصفة عامة ..

**اولا : الأسرة فى المجتمع الغربى :**

لما كانت الأسرة هى الخلية الأولى،أو الوحدة البنائية فى تكوين المجتمع ، فكان ولابد وأن يتركز حديثنا عن أحوال الأسرة فى المجتمع الغربى . ولن أستشهد بأقوال أحد من أبناء وكتاب الشرق ، ولكن كفى بهم شهداء على أنفسهم .

يقول الاتحاد الأمريكى للخدمات الأسرية : [1]

« أصبح انهيار الأسرة .. والذى وصل الآن إلى درجة وبائية — المشكلة الاجتماعية الأولى ، فكل عام يفصل الطلاق بين أكثر من مليون شخص .

---

(١) الإختلاط بين الجنسين فى نظر الإسلام محمد عبد الحكيم خيال .

وأن المعدل الحالى هو سبعة أضعاف ما كان عليه ، قبل مائة سنة ، وأصبح عدد الأطفال غير الشرعيين ثلاثة أضعاف ما كان سنة ١٩٣٨ م ويولد سنويا ربع مليون طفل غير شرعى فى الولايات المتحدة ، أما مشكلة جنوح الأحداث والتى ترتبط بمشكلة الطلاق ارتباطا وثيقا بدورها ثلاث مرات عما كانت عليه فى إحصائيات سنة ١٩٤٠ م ».

وتقول مجلة لايف :

« ضربت نسبة الطلاق فى الولايات المتحدة ، رقماً قياسياً ، فكلما دار عقرب الساعة ٩٠ ثانية ، هوى بيت أمريكى ، وفى كل يوم من العام الماضى كان القضاء الأمريكى يمنح ألف حكم بالطلاق ».

هذا بالنسبة للحالة الأسرية فى المجتمع الغربى ، فماذا بالنسبة للحوادث الأخرى ؟

أصدرت أخيرا « جاردنرتل أرمسترونج » كتيبا ينقد الواقع الأوربي يقول :

هل تعلم أن أغلبية جرائم القتل لا يرتكبها مجرمون محترفون ؟ ولا علاقة لها باللصوصية ؟

وهل تعلم أنه ورد فى تقرير لمكتب التحقيقات الفيدرالية ، أن نسبة جرائم القتل فى نطاق الأسرة هى حالات قتل الزوج لزوجته ؟ وأن ١٥ بالمائة من جرائم الأسرة هى حالات قتل أبوين لأبنائهم ؟..

إلى هذه الدرجة بلغ الحال بالأسرة الأمريكية سبحان الله .. وقد كشفت الدراسات الأخيرة التى قام بها مندوبون من مختلف أنحاء العالم عن بعض الحقائق ، فقد تبين فى لندن — مثلا — أن نسبة كبيرة من الأزواج الذين يظن أنهم سعداء ، مستعدون أن يبادلوا شركاء حياتهم بآخرين ولا يملك الإنسان إلا أن يتساءل ويتعجب ويقول :

سبحان الله ؟ ما الذى جعل الزواج نكدا ؟!

والإجابة متنوعة ، ومعقولة أيضا « فلقد وجد من الدراسة أن ٩٠ بالمائة من حالات الطلاق كان أصحابها غارقون فى الديون إلى آذانهم ، حقيقة آخرى رئيسية هى النسبة العالية للزواج المبكر ، ولعل السبب فى ذلك أن ٤٠ بالمائة من زيجات المراهقين كانت قسرية ، ونتيجة لحدوث حمل قبل الزواج » .

نعم :. حمل قبل الزواج وبهذه البساطة .. ؟

إذن فلم تعد الفتاة الغربية تهتم بما يسمى بالفضيلة والشرف!!

ثم يمضى أرمسترونج فى تشخيص مشاكل المجتمع الأمريكى فيقول :

« لعله يحرجك أن تعترف بأنك تعيش فى عالم جنونه الجنس » .

ولنا أن نتساءل ، ما الذي جناه الغرب من تفشي الانحلال والجنس بين أبنائه ؟

وهذا ما سوف نتعرض له بعد قليل ، بعد أن نستعرض تلك المقالة الهامة والكلمة الموجزة التى أحب أن أسجلها لأحد القضاة ، والتى هى اعتراف صريح بفشل الحياة الغربية.

لقد استمع مجلس الشيوخ الأمريكى فى مناقشته لقضية جنوح الأحداث المتفاقمة إلى كلمة القاضى « صمويل س ليبوتز » التى قال فيها : (١)

« لقد ذهبت الحياة الأسرية فى أمريكا مع الريح » .

وأضاف قائلا :

« لقد ابتعدنا عن الحياة الأسرية السوية ، وفسد جونا الأخلاقى واتبعنا فلسفة إباحية : إنها الحقيقة المفزعة أن يكون لدينا أعلى مستوى معيشى فى العالم وأعلى معدل للجريمة وجنوح الأحداث والطلاق أيضا » .

---

(١) نفس المرجع السابق .

وإنى كواحد ، من أبناء الشرق الإسلامى ، لأتساءل فى شىء من الدهشة لماذا تشعر أغلب النساء فى أوروبا الآن بالخيبة والشقاء ؟ أو لم تنل حريتها التى تنادى بها ؟

والإجابة حاضرة ومنطقية ، وذلك لأنهن خرجن على فطرتهن ونسين أو تناسين أنهن قد خلقن لمهمة جليلة ورسالة مقدسة ، ووظيفة سامية وهى تربية النشء ، وتكوين الأجيال وكذلك الرجال لماذا يتأنث معظمهم ويفشلون أزواجا وآباء أيضا ؟

أقول : لأنهم تخلوا عن أصالتهم الفطرية وتحولوا إلى عناصر غريبة تحاول أن تكون الزوجة والأم لا الزوج ورجل البيت ، ولكنهم للأسف وبطبيعة الحال لم ينالوا هذا ولا ذاك .

أنظر معى أيها القارىء الكريم ـ كيف وأن المجتمعات المريضة لا تلد إلا بيوتا مريضة ـ تلك حقيقة ثابتة لقد قلبت بيوتهم رأسا على عقب ، عندما رفض الرجل أن يتحمل مسوليته وتخلى عن القيادة فى البيت ، بينما حاولت المرأة أن تغصبه قوامته ، والنتيجة بينة ، لا غرور فيها .

وأن هذا ليذكرنا بحكمة الإسلام البالغة فى معالجته لهذا الأمر ومراعاته لإمكانيات كل من الجنسين وذلك من خلال توجيهات الحق تبارك وتعالى فى كتابه الكريم إذ يقول :

« وَلَا تَتَمَنَّوا مَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا »[١] .

---

(١) النساء/ ٣٢

**ثانيا : فساد الحياة الغربية :**

والأخطر من ذلك ، أنه قد بدأت تظهر فى الغرب وتنتشر بين أبنائه أمراض وأوجاع غريبة حديثة العهد بينهم ، ولم يعرفها الطب ولا الأطباء إلا مؤخرا مثل مرض الإيدز ، الذى قد نشأ أساسا من ممارسة الشذوذ الجنسى والعياذ بالله — حتى أن هناك جزيرة سياحية بأمريكا يرتادها المصطافون من كل مكان ، وهى تدر دخلا كبيرا للدولة من النشاط السياحى بها ، وقد لوحظ هذا العام أن انخفض عدد المصطافين ، بدرجة كبيرة ، وبصورة ملحوظة فجأة وذلك عندما بدأ هذا المرض يظهر بها ، وبصورة معدية ، والذى يقضى على حياة صاحبه فى ظرف أشهر قلائل .

ولقد كتب الأستاذ وجيه أبو ذكرى مقالا بعنوان « ميكروب العفة » قال فيه : (١)

سبحان الله ! !

لقد ظهر فى أوربا وأمريكا ميكروب إسمه « هيربز » وهو ميكروب بلا علاج ويقتل الضحية فى أقل من ستة أشهر . أى أنه أسرع من السرطان فى قتل ضحيته ، وهذا الميكروب انتقل من أوربا وأمريكا إلى بعض الدول العربية ، لذلك لم تجد صحافة الكويت ، بل والتليفزيون هناك حرجا فى تحذير المسافرين إلى الخارج من خطر هذا الميكروب .

ولقد ظهر هذا الميكروب بين البغايا ، ثم تنقله البغى إلى الرجل ، وقد ينقله الرجل إلى امرأة ، وقد تكون امرأته . . ولا تظهر علامات معينة على على حامل الميكروب ، إلا بعد أن يكون قد تمكن من المصاب به ، ويقضى عليه خلال ستة أشهر .

---

(١) جريدة الأخبار المصرية فى ١٩٨٣/٩/٦م باب يوميات الأخبار .

يقال أيضا أن هذا الميكروب يأتى نتيجة شذوذ فى العلاقات الجنسية ، حتى أن الشواذ فى الولايات المتحدة قد قاموا بمظاهرة للبحث عن علاج لهذا المرض ــ الذى ينهى حياة حامله فى عدة شهور !!

بعض الدول الأوروبية تحذر القادمين إليها من هذا المرض الذى أدى إلى وفاة عدة مئات فى أوربا وأمريكا !!

وبسبب هذا الميكروب انخفضت نسبة الدعارة، بل والشذوذ فى كل من أوربا وأمريكا .. بل أن المؤسسات التى تستفيد من وجود الدعارة ، قد أنفقت الملايين للبحث عن علاج لميكروب العفة ولكن دون جدوى ؟ !

ومما لا شك فيه أن بعض دول العالم ، قد انتشرت فى مدنها دروب الهوى حتى أصبح الفساد الخلقى ، بل والإلحاد ظاهرة متفشية . وأصبح للدعارة والشذوذ فى هذه الدول قوانين تحميها وكأن هذه القوانين مستمدة من التلمود ولم يعد أحد يستطيع أن يكبح جماح الفساد المستشرى، حتى جاء هذا الميكروب الذى حير العلماء وكبح جماح الفساد وبدأ يجهز عليه » .

وقد نشر هذا المقال ، كما قال كاتبه تحقيقا لمبدأ « لا حياء فى العلم » ، ولدعوة الأطباء الذين يعرفون أكثر عن هذا المرض أو عن هذا الميكروب ليكتبوا للناس عنه ويعرفوهم بمدى خطورته ، وقد اختتم الرجل مقالته ، بما بدأبه بقوله سبحان الله.هناك الكثير والكثير من الأمثلة والنماذج فى المجتمعات الغربية وهذا قليل من كثير ، ولكن ماذا يقول ذوو العقول المستنيرة منهم عن المجتمع العربى عادة وعن ضع المرأة فى الشرق الإسلامى خاصة ؟

**ثالثا : ماذا يقولون عنا ؟ :**

إننى لا يسعنى فى هذا الصدد ، سوى أن أنقل رسالة لكاتبة أمريكية متخصصة فى دراسة مشكلات الشباب ونشرتها إحدى الصحف التى تصدر فى إحدى البلاد العربية ، وتقول صاحبة الرسالة « هيلسيان ستاسبرى » [1]

---

(١) الاختلاط بين الجنسين فى نظر الإسلام . محمد عبد الحكيم خيال .

« إن المجتمع العربى كامل وسليم ، ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده التى تقيد الفتاة والشباب فى حدود المعقول وهذا المجتمع يختلف عن المجتمع الأوربى والأمريكى ، فعندكم تقاليد موروثة ، تحتم تقييد المرأة وتحتم احترام الأب والأم ، وتحتم أكثر من ذلك ، عدم الإباحية الغربية التى تهدد اليوم المجتمع والأسرة فى أوربا وأمريكا ، ولذلك فإن القيود التى يفرضها المجتمع العربى على الفتاة الصغيرة ، وأقصد ما تحت سن العشرين ، هذه القيود صالحة ونافعة ، لهذا أنصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم وامنعوا الاختلاط وقيدوا حرية الفتاة ، بل وارجعوا إلى عصر الحجاب فهذا خير لكم من إباحية وانطلاق ومجون أوربا وأمريكا .

إن الاختلاط والإباحية والحرية الزائدة فى المجتمع الأوربى هدد الأسر وزلزل القيم والأخلاق ، فالفتاة تحت سن العشرين فى المجتمع ( الحديث ) تخالط الشبان ، وترقص ( شاتشاتشا ) وتشرب الخمر والسجاير وتتعاطى المخدرات باسم الإباحية والحرية والمدنية ، وأعجب من ذلك فإنها تلهو وتعاشر من تشاء تحت سمع وبصر عائلتها .. نعم تتحداهم باسم الحرية والإباحية : تتزوج فى دقائق ، وتطلق بعد ساعات ، ولا يكلفها ذلك أكثر من توقيع وعشرين قرشا ، وعريس ليلة أو لبضع ليال وبعدها الطلاق ، وربما الزواج والطلاق مرة أخرى :

إننى لا أملك إلا أن أقول « وشهد شاهد من أهلها » فهذه الرسالة إن هى إلا بمثابة تقرير من شاهدة عيان ، لا من شاهد عيان عن النظام الأسرى فى فى المجتمع الأوربى ، وأسلوب حياته ، وعلى ما أعتقد فان الشهادة من امرأة الثقافة والفكر ، أكثر أهمية من شهادة الرجل وخاصة إذا ماكانت متعلقة بأحوال الأسرة والمجتمع .

ولكنى أحب أن أعرض لرأى واحد من كبار كتاب وأدباء أمريكا الا وهو « جون شتاينبك » الذى نال جائزة نوبل فى الأدب عن روايته المشهورة « شتاء الأحزان » .

هذه الرواية التى عبر « جون شتاينبك » من خلال سطورها وأحداثها عن قلقه الشديد على القيم الأمريكية التقليدية ، وأعرب عن مدى خوفه عليها من الضياع جيلا بعد جيل أو يوما بعد يوم فنجده يصور لنا الصراع داخل نفس المواطن الأمريكى . الصراع الذى أصبح يعيشه مع الحق والخير والجمال ، وقد تمثل ذلك فى شخصية« ايثن هاولى » الذى لا يجد لحياته معنى ويحاول الانتحار فى نهاية الرواية بعد أن عاش حياته مع المبادىء والقيم ثم يحدث أن يخونها بعد ذلك حتى يقول له« ما رللو » الإيطالى : « لا يصح من الإنسان أن يهدم كل المعانى السامية البيضاء الناصعة الجميلة التى عاشت بداخلة ، فى لحظة ضعف ، وإن لم تستطع أن تكون وردة فلا يجب أن تكون شوكا » .

ثم يشير إلى إدمان الخمور فى مجتمعه ، ويبين عاقبته السيئة من خلال شخصية « دانى تيللور » الذى أدمن الشراب حتى هلكت صحته ووصل به الحال لدرجة جعلته يتمنى الموت يأساً من الحياة وخلاصاً منها أو إن شئت أن تقول هرباً منها . . ثم ينتقل بالقارىء بعد ذلك إلى الحياة الأسرية فى أمريكا وعدم إحساس المرأة بالسعادة فى حياتها الزوجية وقد تمثل ذلك من خلال شخصية« ما رجى »تلك المرأة التى ما زالت فى مقتبل عمرها وعنفوان شبابها وتزوجت مرتين وفشلت فى كل من الزيجتين وأصبحت تعيش رافضة للزواج بل يملأ الخوف قلبها كلما فكرت فى محاولة ثالثة وذلك لأنها لم تجد السعادة فى حياتها الزوجية .

لقد صور جون شتاينبك المجتمع الأمريكى أحسن تصوير ، وأخرج للعالم الصورة الواضحة للإنسان الغربى كيف يعيش حياته وإلى أى درجة وصل به الحال هناك .

**رابعا : قضية المراة بين الاسلام والفكر الغربى :**

أيها القارىء الكريم . . . ما أظن عاقلا ، يحب لمجتمعه أن يتردى فى الهاوية السحيقة التى تردت فيها المجتمعات الأجنبية ، ولا أن يخوض تجربة ثبت فشلها ، وخزيها وعارها .

إننى لأ نكر أشد الإنكار على كل من يريد أن ينقل مجتمعه المسلم المحافظ ، إلى مجتمع العرى والتكشف ، والسكر ، والضياع باسم أية هيئة وتحت أى شعار . .

**(أ) مفهوم الحرية لدى المرأة :**

وأنا — حقيقة — لا أدرى إلى متى سوف تظل المرأة المصرية وبصفة خاصة دون نساء الأمة العربية والإسلامية ، مغرراً بها باسم حرية المرأة ، والدفاع عن حقوقها وكرامتها . . . الخ .

وهى فى حقيقة الأمر لا تدرى إلى أى مصير يريد المستشرقون وعملاؤهم فى الشرق أن يصلوا بها إليه . .

ولن أخوض فى هذا الأمر كثيراً ولكن لا يسعنى إلا أن أسوق إليها هذا التقرير [١] :

« فى أوائل سنة ١٩٧٥ م حضرت إلى لبنان من السويد الدكتورة « همر » مندوبة الأمم المتحدة لتدرس قضية المرأة فى الشرق العربى وقضت مدة طويلة فى المنطقة ، توغلت خلالها فى أقصى الصعيد المصرى وفى أدغال السودان وغيرها من المناطق ، وخرجت بتقرير أراه على درجة عظيمة من الأهمية قالت فيه :

« من حق المرأة السويدية أن تطالب بحريتها ، فإن المرأة فى الشرق العربى قد وصلت إلى قمة حريتها ، فى ظل الإسلام » .

ثم قالت :

« إن المرأة فى السويد تفكر هذه الأيام بالمطالبة بجعل هذه السنة الدولية للمرأة ، ثم جعل سنة دولية للرجل لإنقاذ حقوقه من المرأة » .

---

(١) نفس المرجع السابق للأستاذ محمد عبد الحكيم خيال .

وأضافت قائلة :

« إن مأساة المرأة فى السويد هى الحرية التى نالتها، وأوصلتها إلى درجة خطيرة ورهيبة » .

ثم تحدثت بعد ذلك مبينة وموضحة الفهم الخاطىء للحرية عند المرأة السويدية والعواقب الوخيمة التى ترتبت على ذلك :

« إن ٢٥ بالمائة من السويديين مصابون بالأمراض العصبية والنفسية و ٤٠ بالمائة من الدخل فى السويد ينفق على معالجة هذه الأمراض وذلك سببه الحرية التى نالتها المرأة فى السويد بالشكل الذى تمارسه» وفى دراسة عن أول حركة انشقاق نسائية سوفيتية كشفت تدهور أوضاع المرأة فى ظل المساواة الشكلية وكيف أظهرت الجنس الثالث بعد تحرير المرأة الروسية ؟ كتبت « تاناتيا ناجو تشيفا » — وهى فيلسوفة ذات تعلم ماركسى — مقالا جاء فيه : (١)

« إن نظام التعليم السوفيتى قائم على أساس مساواة مثالية زائفة بين الرجل والمرأة تنطوى فى حقيقتها على احتقار للأنوثة .

« وإن هذا النظام لم يؤد إلى تحرير المرأة ، وإنما أدى إلى تأنيث الرجال بعد أن فقدوا حريتهم وقدرتهم على تحمل المسئولية » وقالت « تاناتيا » فى مقالها :

« إن المرأة فى الأسرة التى تحللت بسبب إدمان الرجال للخمور وأيضاً فى المصانع تشكل قوة العمل الرئيسية، وأن العمل فى المصنع والبيت يثقل كاهلها ، ويدمر معنوياتها » وذكرت أن المرأة والرجل على السواء قد تحولا فى المجتمع السوفيتى إلى جنس ثالث هو جنس سوفيتى محض لا مثيل له فى أى مجتمع آخر » .

---

(١) الأهرام القاهرية فى ١٩٨٢/١/٣م نقلا من الأوبزرفر .

**(ب) المرأة والعودة الى البيت :**

انى لا أملك سوى أن أوجه نداء — من على صفحات هذا الكتاب إلى المرأة فى الشرق الإسلامى بالعودة إلى مملكتها وعرينها ، ألا وهو البيت ، ولقد أعجبتنى حقيقة تلك الدراسة الرائعة ، والتى قامت بعرضها الأستاذة « لوسى يعقوب » فى باب « كتاب يقرأه العالم [1] إذ أنها قدمت عرضاً طيباً ، وجميلا لكتاب « دعوى .. إلى البيت ؟ » للمؤلفة « آرلين كاردوزو » .

وإننى لأنصح كل امرأة فى الشرق الإسلامى بأن تقرأ هذا الكتاب أو على الأقل قراءة هذا الغرض التحليلى الجميل .

إذ أنها تتساءل ، لماذا .. وفى عصر الحضارة النسائية الحديثة ... تفكر المرأة فى العودة إلى المنزل.. لترفع من شأن أسرتها .. بدلا من الخروج إلى العمل .. ؟

وهنا يأتى الجواب .. من مئات .. ومات من النساء .. اللائى وضعن سعادة أسرهن .. غاية حياتهن .. وفضلن أن يزيد الترابط مع الأسرة .. على خروجهن للعمل .. وكان هذا هو اختيارهن النهائى ..وقرارهن الأخير ..؟

وتوضح «رلين روزين كاردوزيو» فى هذا الكتاب .. كيف يمكن للمرأة .. أن ترفع من شأن أسرتها .. من خلال مراعاتها لطفولة أطفالها .. ومن خلال سنواتهم الدراسية .. وحتى يترك آخر طفل المنزل . . بعد أن يصبر رجلا .. يعتمد على نفسه ..... وتمكنت المؤلفة من أن تثبت أن المرأة فى هذا الاختيار .. قد اختارت الكرامة .. وعظمة التصرف .. وأحسنت الاختيار فى قرارها هذا ...

---

(١) جريدة الأخبار المصرية فى ٢٨/٢/١٩٨٤م .

نعم لقد توصلت المرأة فى الغرب إلى هذا ، ومع ذلك ما تزال المرأة فى الشرق تصر على خروجها للعمل وإن لم تكن هناك حاجة لذلك ! !
تصر على أن تزيد من أعباء الدولة ومشكلاتها المتعددة فى المواصلات وتعطيل العمل فى دواوين الحكومة وما شابه ذلك من أمور نحن أدرى بها ونعرفها جيداً ؟

نعم فبالأمس .. كان البقاء فى المنزل هو نصيب المرأة .. وقدرها الحتمى أما اليوم .. فقد أصبح باختيارها الشخصى .. وبمحض إرادتها .. ورغبتها الحرة .. وقرارها بنفسها .. دون أى ضغط عليها ..؟ !

إن البقاء فى المنزل .. أصبح قضية المرأة اليوم .. والتى تشعر بكل ما يمكن أن يحقق لها .. هذا القرار .. من متعة وسعادة .... وهناء ..وارتباط عائلى وثيق .. وتفهم تام.. وتجاوب مع كل فرد من أفراد الأسرة. مع الشعور المتدفق الفياض .. بأنوثتها وأهميتها الكبرى .. كشعاع يضئ البيت .. ويضفى نوره .. على كل من حولها .. ؟

والمؤلفة «آرلين كاردوز» هى مؤسسة ومديرة « مؤسسة المرأة فى البيت » .. فى مدينة منيوبوليس لامينو سوتا الأمريكية .. وهى مؤسسة قامت أصلا .. لمساعدة المرأة .. وتوجيهها فى كيفية تنظيم شئون أسرتها .. وتوثيق الروابط الأسرية .. التى تضيع فى غمار انشغال المرأة .. وخروجها اليومى إلى الشارع .. وإلى العمل .. بنظم جديدة . وقد نشرت نظرياتها وإستفتاءاتها .... فى عديد من المجلات والصحف ... ؟

كانت الوظيفة .. تعتبر نقطة انطلاق .. فى سعى المرأة للحرية وتمثل جزءا لا يتجزأ من حياة هذا الانطلاق .

ولقد كانت الحركة النسائية فى القرن التاسع عشر التى تصدر مقالات بالصحف والمجلات .. تبرر استقلال الأنثى ... وتدافع عن حق النساء فى العمل . هى نفسها التى قامت فى أواخر العشرينات على حث قارئاتها

على العودة إلى أنوثتهن التى ضاعت فى غمار الحياة العملية القاسية .. أخذت تدعو إلى أيديولوجية صريحة تأييداً للبيت والزواج .. والأسرة ... وحددت المجلات . . كخطوة أولى . . دور ربة البيت . فإنه دور مثير . . ونافع وخلاق وأهابت بالنساء ... أن يفكرن فى وظيفتهن .. كمهنة ... أى كمهندسة منزلية «وكأم .. وسيدة بيت ... متفهمة لواجباتها ملتصقة برجلها ... وأولادها ... وأسرتها .... مثيرة ... رائعة كاملة بالأنوثة .. متعطرة ... أنيقة ... فى بيتها ... وفى ملبسها وفى حياتها ... ؟

ولقد فسرت المجلات ... تمجيدها للحياة المنزلية ... بحملة مريرة على نظرية «المساواة الاقتصادية والاجتماعية . بين الجنسين» وادعت هذه المجلات ... أن النساء المحررات ... تخلين عن جوهر الأنوثة ... وروعة الجمال . وقد برهنت المجلات على صحة نظرية «العودة إلى المنزل» بأنه لو تناولت المرأة مهمة خلق البيت .. ورعايته ... و بأسلوب مناسب ... لوجدت فيه أحسن المهام وأكثرها نفعا .. وجاء فى مقال لإحدى المجلات :

«كما أن الوردة تصل إلى ذروة جمالها فى ترتيبها ... فان ربة البيت ... تصل إلى قمة جمالها ... وإزدهارها ... وأنوثتها حينما تمتد جذورها فى أعمال الشؤن اليومية ... لأعز أشخاص لديها . ؟» ولا يمكن القول ... بأن المرأة التى تتقلد وظيفة ... هى بالضرورة ... أسعد من المرأة التى ليس لديها وظيفة تتقاضى منها أجراً ... فان كثيراً من الزوجات ... يسعدن بأدوارهن كربات بيوت ... وأمهات ويجدن قناعة كبيرة فى تربية الطفل .. وبتطوع فى ممارسة الأنشطة فى المجتمع .. وإستيعاب الحياة الأسرية .ه ويجدن فيها متعة كبيرة ... وتدل الاستفتاءات على أن غالبية الأمريكيين بما فيهم النساء ... ما زالوا يعتقدون أن مسئولية المرأة الرئيسية هى فى البيت وخاصة فى السنوات الأولى ... لتربية الطفل .

والمرأة العاملة من أكبر مشكلاتها ، أطفالها الصغار .... فهى قد اعتادت ن تتركهم مع المربية أو مع جارة — أو مع جليسة الطفل أو فى دار حضانة وهى مشكلة جوهرية فى حياة كل أم .. وكل أسرة . ولقد ضربت المؤلفة

مثالا لكيفية إمكانية المرأة استغلالها لمواهبها وكفاءاتها داخل بيتها وحياتها الأسرية وكتبت الأستاذة لوسى يعقوب تحت عنوان « منزل فنانة » تقول : [

أما ( أميليا ميزلى ) فهى فنانة ... رسامة تلعب ريشتها دورا .. هاما فى حياتها ... وكانت تخشى من الزواج ... لئلا يحرمها من هواياتها ... ومسراتها ... وفنها ... وفرشتها ... ولكنها بعد أن تزوجت وأنجبت طفلا .. وانتقلت من ( نيويورك ) إلى ( أتلانتا ) وجدت أن الهواية تتغلب عليها .. ولكنها ركزت هذه الهواية فى بيتها وصنعت ديكوراته بنفسها ... وجملته وتفننت فى تنسيقه وتلوين جدرانه وأبدعت فى رسومات الستائر والمفروشات حتى الموبيليا . وكان فنها يلعب دوراً كبيراً فى اهتمامها ببيتها ... لقد نقلت كل فنها ... إلى داخل الجدران من طلاء وزخرفة وألوان ثم انتقلت إلى ملابس أطفالها الذين أصبحوا خمسة .. فكانت إمرأة رائعة .... وأوجدت نفسها فى نفس عملها ... وفنها ... مهندسة ديكور وفنانة ... وأشبعت هوايتها بانتاج مفيد داخل بيتها — وفى محيط أحب الناس إليها ... ؟

ولقد دلت الاستفتاءات العديدة التى أجرتها المؤلفة ... أن هناك آلافا من النساء ... إكتشفن مهاراتهن التى يمكن استغلالها من داخل بيوتهن .

وكتبت السيدة الفاضلة بعد ذلك تحت عنوان « إمرأة متخصصة » تقول :

[ تعتبر المرأة التى اقتنعت تمام الاقتناع بفاعلية تأثيرها وأثرها فى وجودها بالبيت « أخصائية متمرسة فى فنها » فى إدارة وتكييف ورفع مستوى هذا الفن الأسرى . فان هذا التخصص يجعلها قادرة على النهوض بالمستوى المعيشى والأسرى والاجتماعى .. والثقافى والإنسانى .. فى داخل مجتمعها الصغير .. ويعتبر البيت ميدانها العملى ، وحقل تجاربها التخصصى فى ممارسة نشاطها وإبراز كفاءتها وخبرتها وابتكارها وتخصصها فى رفع شأن هذا البيت جوهرياً ومعنوياً ومادياً وعاطفياً وإنسانياً ونفسياً ..

إنها امرأة مدربة تماماً بكفاءة عالية لتنتج إنتاجاً عالياً وتحقق مكسباً ونجاحاً لها ولأسرتها .

إنها مراجعة حسابات وميزانية .... ومديرة منزل . ومربية وموجهة ومعلمة ورائدة وقائدة فى مسيرة جماعية ... وقيادة سفينة تسير بها وترسو على شاطئ الأمان ؟

ومهما بلغت درجة ثقافتها ، فانها لن تفقدها أبداً متى التحقت بالعمل فى مؤسسة البيت لتطبق نظرياتها العملية على العمل وهذا العمل لن يستفيد به أحد لا يمت إليها بصلة ، بل هم أحب أحبابها وألصق أبنائها ... عائلتها الصغيرة ... فعملها هنا ، وفى هذا المجال الأسرى فيه الخلق والإبداع والاستمتاع بما خلقت وأبدعت ؟

والمرأة فى الحقيقة ... لن تخسر شيئاً بعودتها للمنزل ، بل على العكس ، فانها سوف تكسب كل شيء الاستفادة بعلمها ، وعملها داخل إطار أسرى حبيب يعود عليها بالفائدة ... والازدهار .... بدلامن تبديد طاقاتها وأنشطتها وحيويتها خارج هذا البيت » .

ثم تقرر الكاتبة حقيقة عز على الكثيرات من بنات الشرق ونسائه أن يعترفن بها بالرغم من أن هذا ما دعاه إليهن الإسلام من زمن بعيد فتقول :

إن البيت هو ميدانها الذى تصول فيه وتجول بمحض رغبتها وحريتها واختيارها الحر .. بوحى من مشاعرها وإرادتها فى تكييف شئون هذه المؤسسة الأسرية ، انها ترفع من أسرتها بوحى من ثقتها بنفسها وبكيانها الذى يضم ويحوى أسرة من زوج وأولاد ... انها مؤسستها الخاصة ، بل ومملكتها ... وهى المسئولة عنها قلباً وقالباً ...

وهناك حالة أخرى تحدثت عنها المؤلفة وقدمتها كنموذج حى ، لامرأة تدعى «ميزا مايزر» الحاصلة على بكالوريوس الطب والجراحة ...

احتفظت الطب لتستعمله فى خلال حياتها الزوجية دون أن تضطر لترك أطفالها الثلاثة . . فان غاية علمها وهدفها كطبيبة . بل وهوايتها هو مساعدة الآخرين . . وكان الطب والدواء عنصرا هاما من عناصر هذه المساعدات والخدمات الطبية .

وتقول ميزا عن السبب الذى حدا بها إلى العودة إلى المنزل بعد حصولها على أرقى الشهادات العلمية وتخصصها الطبى ، بما يفتح أمامها مجالات واسعة فى عالم الطب :

«عندما رزقت بطفلى الأول شعرت بحاجته إلى وبأنه أول شخص يجب على أن أقدم له علمى ، وأسقيه دوائى . . وهو الطفل الذى نزل من أحشائى . . ووجدت محيطى فى المنطقة التى أعيش فيها من الطبقة المتوسطة وجيرانى والمجموعات العائلية كلها من المستوى المتوسط فى الحياة والتعليم قليل منهم من يعرف « لغة المداواة» والطب ومعالجة الأمراض الناشئة ولا كيفية الحصانة منها . . ولا إسعاف . . للحالات والحوادث الفجائية . . ولا طريقة علاجها ؟

ومن هنا نشأت فى ذهنى ، وكرست وقتى كله لتنظيم برنامج طبى منظم مدروس لتعليم هذا المجتمع الأسرى والمرأة على وجه الخصوص قدمت لها أبسط مبادئ العلاج . . وحرصت على أن تدرس الأمهات علميا وعمليا — كيفية معالجة أطفالهن حين مداهمة المرض لهم ومساعدتهن لمعرفة أعراض أى مرض ونوعية الدواء وكيفية معالجته بالمنزل ؟

وهكذا فى هذا المبرنامج المنظم والدراسات والمعلومات للأمهات فى محيط الجارات . . تعلمت الأم كيف تكون طبيبة أطفالها الخاصة وبعد أن انتهى البرنامج ، وحصلت الأمهات على شهادة تدريب طبى متكامل وذهب أطفال « ميزا » كلهم إلى المدارس — ثم إلى الكليات — وجدت ميزا الوقت الكافى الذى يمكنها أن تتوسع فى هذا البرنامج التدريبى فى داخل المدينة . . وأنشأت مركزا عاما للرعاية الطبية تخدم به ولا يتها ككل . واختارت مجموعات العمل التطوعى كله من جيرانها ، وجاراتها الأمهات

اللاتى تمرسن وتدربن على يديها وكن أيضا يشكون من الوقت الضائع بعد أن ذهب الأولاد جميعا للمدارس والجامعات واختارت لهذا « ميزا » ساعات عمل تتمشى مع وظائفهن كربات بيوت ولا تتعارض بتاتا مع واجباتهن الأولية . . وتقول الطبيبة « ميزا » متحدثة فى اختيار الوقت المناسب لعمل المرأة بعد أن حددت نوعيته ، وعن كيفية استغلال المرأة لما حباها به الله عز وجل من خصائص وإمكانيات تقول :

« ضرورة اختيار الوقت المناسب لانطلاق المرأة إلى العمل ، فلو كنت مارست عملى كطبيبة منذ بداية زواجى . . ما عالجت أسرتى . . وما تخرج أولادى . . وما كنت قد خدمت جيرانى . . وأخرجت منهن النساء المدربات الماهرات والطبيبات من منازلهم . . اللائى خدمن أسرهن ثم بعد ذلك قمن بخدمة وطنهن . . وهذه هى المرأة فى البيت :

فهذا البيت لن يحد من نشاطها ، ولا ممارسة حقوقها وتأدية واجباتها بل انه من أوسع السبل التى تقودها إلى النجاح » .ثم تحدثت المؤلفة بعد ذلك عن أن الرجل وجد فى الحياة ليكد ويكدح خارج البيت بينما المرأة بفلسفتها الانسانية وما أختصت به من خصائص وميزات خلقت لتوجد الدفء والحنان فى البيت فليس من المعقول أن يسعى الرجل كل هذا السعى فى الحياة من سفر وغربة ، وما إلى ذلك ويتحمل المشاق من أجل تحقيق الرفاهية لأسرته ، وفى الوقت نفسه تترك الزوجة البيت لعمل خارجى ؟؟

ثم تقول الكاتبة فى نهاية عرضها للكتاب :

ولكن اليوم . . وبعد أن مارست المرأة كل حقوقها السياسية والاجتماعية . . راجعت نفسها ، ووجدت بأنها قد خسرت الكثير جدا من حصانتها ، وفقدت أكثر متعة الشعور بالحياة فليس هناك أجمل ولا أروع من امرأة تحتضن أولادها ، وتشارك زوجها فى عمله ، وفى هواياته انه بتشجيعها له سوف يصل إلى قمة النجاح .

ثم تتساءل : ماذا تريد المرأة أكثر من زوج وأولاد ؟ وعمل داخل مؤسسة البيت وأمومة ؟ هذه الأمومة التى لاتضاهيها وظيفة على الأطلاق رفعتها وسموها . . وعظمتها .

والآن . . وفى السنوات الأخيرة من القرن العشرين — عادت النغمة من جديد . . وعزفت موسيقى العودة للبيت . . لتذوق المرأة الحياة . الحلوة التى حرمت منها الأسرة . . بعد أن هجرتها المرأة . . . إلى الخارج .

عاد اللحن الشجى ينادى ويطالب المرأة « أن عودى إلى البيت . . . عودى إلى البيت » . . وبدا أن المرأة قد لبت النداء وناداتها طبيعتها الأنثوية . . . وحنينها الطبيعى إلى العش الدافئ بعد أن هجرته طويلا . . .

والآن . . . . أيها القارئ الكريم بعد هذا العرض الموجز السريع لكتاب « عودى إلى البيت» أرجو أن تلتمس لى العذر فى هذا الإسهاب أو تلك الإطالة . فقد شعرت بأن هذا شئ لابد منه ، وأحسست أن هذا الكتاب السابق ما هو إلا صرخة من المرأة فى الغرب إلى بنات جنسها للعودة إلى البيت ، ولا يضاح الصورة أمام المرأة فى الشرق ، ولتتعرف فتياتنا على أفكار المرأة فى الغرب الآن ، ولتقارن تلك الصورة بمدى الانحراف الذى كانت تسير فيه المرأة أو المجتمع الغربى عامة ، والذى مازالت الكثيرات حقيقة من بناتنا يعشن فيه ويحلو لهن التقليد والمحاكاة .

### (ج) المرأة فى الغرب وخطوات على الطريق القويم :

لقد ظهرت فى الولايات المتحدة زعيمة جديدة ، فهى تعارض حركة تحرير المرأة فى أمريكا التى تطالب بتعديل الدستور الأمريكى للنص صراحة على المساواة التامة بين الرجل والمرأة .

ان السيدة « فليس شافلى» المحامية المعروفة زعيمة الحركة المضادة لمساواة الرجل والمرأة تقول :(١)

انها استطاعت أن تقنع أغلبية أمريكية أنها نصيرة العائلة ونصيرة ربة البيت ، ونصيرة الأخلاق الفاضلة ، وأن خصومها ضد كل هذه الفضائل وأن نصراء تحرير المرأة يشقون الزوجة الأمريكية بدعايتهم الفارغة . . وأن الزوجة الأمريكية سعيدة الآن — فهى التى تدبر بيتها وهى التى تصدر القرارات ولكن يجب أن تحترم زوجها أو تعتبره رب العائلة .

وتستمر « فايس» قائلة :

واجب الزوجة أن تستقبل زوجها بابتسامة كما تفعل الجرسونة فى المطعم عندما تستقبل زبونا جاء لتناول الغذاء — هذا على حد تعبيرها إننى معجبه بمسز مارجريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا فانها قبل أن تذهب فى الصباح إلى مكتبها ، فانها تعد بنفسها طعام الإفطار لزوجها وابنها وابنتها ولا تهمل إطعام أسرتها بحجة أنها مشغولة بادارة الحكم فى بريطانيا ، من حق المرأة أن تعمل بشرط أن تؤدى واجباتها كزوج وأم ، فاذا لم تستطع أن تجمع بين العملين فعليها أن تستقيل أو تبحث عن عمل خفيف ، وتقول « ان مساواة المرأة بالرجل فيه القضاء على الأسرة وفيه القضاء على حلاوة الحياة الزوجية» .

وهكذا تتضح لنا جوانب غامضة من هموم المرأة العاملة فى الغرب. ترويها لنا المرأة المتفتحة الواعية ، محاولة أن تبصر بنات جنسها بالمستقبل المظلم الذى ينتظرهن .

ونمضى مستعرضين آراء المرأة الغربية فيما وصلت إليه الآن . . وما تعانية من واقع مؤلم .

---

(١) الأخبار القاهرية فى ١٩٨٢/١/٢١م .

وحيث خرجت المرأة للعمل زاد استهلاكها لأشياء كثيرة حسب طبيعة وضعها الجديد ماذا تستهلك المرأة ؟

سؤال تجيب عليه « مارى التو » الباحثة بجامعة باريس ومستشارة اليونسكو فى مجلة مستقبل التربية فتقول :(١)

« أصبحت المرأة الحضرية فى مجتمع اليوم أساسا للاستزادة من المال والأرباح . هدفا للاغراء والترغيب ، فى الإقبال على الاستهلاك من مختلف البضائع المطروحة للبيع فى الأسواق . والواقع أن المرأة الحضرية أكثر من زوجها تأثرا بالدعاية الضخمة المغرية التى يطلقها التجار ترويجا لبضائعهم وترغيبا فى شرائها . . » وتستمر مارى ألتو فى حديثها قائله :

ومن أهم السلع التى تهتم الدعاية التجارية بالترويج لها ، وإغراء النساء بالإقبال على شرائها — مواد التجميل وأدواته من الثياب المتطورة المتغيرة تبعا لتغير الفصول والشهور — بل والأيام أحيانا . وهكذا تجد المرأة نفسها عرضه للاستهلاك فى ميولها وعواطفها فضلا عن استغلالها فى ميادين الأعمال» .

ولكننا نتساءل هل المرأة سعيدة بخروجها إلى العمل ؟

سؤال تجيب عليه الكاتبة الأنجليزية الشهيرة « آنا رورد» فى مقالة نشرتها جريدة « الايسترن ميل» الأنجليزية فتقول :

«لأن تشتغل بناتنا فى البيوت خوادم أو كالخوادم — خير وأخف بلاء من اشتغالهن فى المعامل ، حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها إلى الأبد — ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفاف رداء — إنه عار على بلاد الإنجليز أن تجعل بناتها مثلا للرذائل بكثرة مخالطة الرجال — فمالنا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل بما يوافق فطرتها الطبيعة

(١) من مقالة للأستاذ على القاضى بعنوان« هموم المرأة الغربية » الوعى الإسلامى العدد ٢١٥ سنة ١٩٨٢م .

من القيام فى البيت وترك أعمال الرجال للرجال — سلاسة لشرفها وحفظا على أنوثتها .

وإلى بناتنا فى الشرق ، أسوق إليهم أيضا تلك الواقعة الجدلية الطريفة والهامة أيضا ، ففى ولاية « انديانا » الأمريكية — كان النقاش حادا بين واحد من الدراسين العـــرب وبعض الطالبات فى الجامعة أثناء دراستهم العليا — هو يدعو إلى الإسلام الذى رعى حقوق المرأة وصانها — وهى تتكلم عن تحرير المرأة — ونوقشت قضية المرأة ولم يتفقوا على رأى — فاحتكموا إلى عميدة الكلية ودار حوار هادئ شارك فيه الطالب العربى المسلم .

وأستدعت العميدة واحدة من كبيرات الأساتذة عندها ليتفقا على جواب واحد وكان جوابهما الذى وجه للطالبات :

« يجب أن تتركن تلك الشعارات وتعدن لحياتكن الطبيعية — فان أجمل أوقات المرأة هى مناجاة طفل ، وأحلى سويعات عمرها بيت ترفرف عليه السعادة الزوجية ، وأشهى ثمرة تقطفها هى تربية الأجيال » ثم أضافتا إلى ذلك قولهما :

« لقد تحصلنا على أكبر مركز تتوق إليه المرأة ، بل والرجل فى هذه الحياة ، وأكبر رصيد تتخيله بنات حواء من السمعة والمال والجاه — لكن ذلك كله خال من السعادة بمعناها الحقيقى — إن السعادة الحقيقية للمرأة بعد أن درست الديانات المختلفة قد رسمها دين هذا الرجل المسلم بتعاليمه ومبادئه والحقوق التى أعطاها للمرأة ، وأشارتا إلى زميل الحوار . فهذه صيحات تحذير تأتينا من الغرب الذى ذاق ما ذاق من خروج المرأة إلى العمل تاركة وظيفتها الطبيعية . ترى هل نحن على استعداد للنظر فى هذا الأمر والاستماع الى تلك الصيحات ؟؟ إن من يريد أن يتعرف أكثر وأكثر على مدى الانحراف الذى كان يسير فيه المجتمع الغربى والضلال المبين الذى

أعمى الغرب عن سواء السبيل لا بد وأن يقرأ كتاب « أزمة العالم الحديث» للعالم والفيلسوف الحكيم الصوفى « رينيه جينيو» الذى كان لإسلامه ثورة كبرى ، هزت ضمائر الكثيرين من أبناء الغرب .

**خامسا : نهاية المطاف : فشل الحضارة الغربية :**

أنظر معى أيها القارئ الكريم إلى أى درجة شقى المجتمع الغربى بأفكار وفلسفات أبنائه ، والتى بنى عليها حضارته المادية ، ولم تحقق له السعادة التى كان ينشدها ويسعى إلى تحقيقها ، وتهفو نفسه إليها ، وأيضا لم يحس بالأمان الذى كان يطلبه أو يريده ويتمناه . . . أتدرى أيها القارئ الكريم — لماذا ؟

أجيبك بكل بساطة ووضوح : إننى على ما أعتقد فان حضارة الغرب . . . المادية قد قادت الإنسان هناك بعد كل هذا التقدم المادى إلى طريق مسدود ، نعم . . هى حضارة تدعو إلى مزيد من الإنماء والإنتاج بلا حدود ، من أجل مزيد من الرفاهية التى وصلت إلى حد الترف وإلى إشباع رغبات الإنســان الجنسية بكل وســيلة ممكنة . . ولكنها فى نهاية المطاف ركزت على الإنتاج العسكرى وصنع الأسلحة بكميات رهيبة تجاوزت الملايين . وما الغرض منها فى نهاية المطاف إلا خراب الإنسانية والدليل على ذلك الاهتمام بتصديرها إلى دول العالم وتسويقها بين شعوبه .

ولو أن الحضارة الأوربية سارت جنبا إلى جنب مع الحضارة والتحضر الروحى والخلقى ، لرفع العناء والمعاناة عن ملايين البشر ، فى الشعوب المستضعفة ، بل وعن الملايين من البشر الذين يذهبون إلى قبورهن من شدة الفقر والجوع ، فى الوقت الذى تعطى الحضارة المعاصرة أطنانا من مواد التدمير للكون للإنسانية . . وإن نسينا فلن ننسى ما فعلته أمريكا عام ١٩٦٩ م حين أغرقت فائض القمح فى المحيط الأطلنطى فى الوقت الذى كانت تموت جماعات من شدة الجوع .

فماذا يفعل الإنسان فى الغرب ؟

لقد كان من الطبيعى أن يبدأ فى البحث لنفسه وبنفسه عن مصادر أخرى للسعادة والأمان ، فأقبل على الإسلام بحثا ودراسة علة يجد فيه سعادته وهناءته وما ينشده ، من أمن واستقرار ، وهذا ما نحب أن نتحدث عنه فى الباب القادم .

# الباب السادس

# الانسان الغربى ... والاسلام

---

أولا : دراسة الانسان الغربى للاسلام .

ثانيا : لماذا اتجه الغرب الى الاسلام :

(أ) موقف الغرب من المسيحية .

(ب) موقف الغرب من الاسلام كفكر وحضارة .

ثالثا : اسلام رجاء جارودى ودلالته فى هذا العصر .

رابعا : الاسلام دين المستقبل .

# الباب السادس

## الانسان الغربى والاسلام

لقد أصبح الإنسان الأوربى لا يكره شيئا فى الوجود ولا ينقم عليه فى حياته ، مثل تلك الأفكار ، وهذه الفلسفات التى هى وليدة العقل الضائع والفكر الضال ، بل بات يلعنها لأنه كان يأمل فيها الخير الكثير ، كمصدر للسعادة والإحساس بالأمن فى يومه ، والأمان على مستقبله ، فأخذ يبحث عن مصادر أخرى ، فصوب نظره تجاه الشرق ، فطرق أبواب الدراسات الشرقية والإسلامية ، حتى أننا أصبحنا نلحظ أن معظم جامعات أوربا قد اتجهت إلى إنشاء أقسام متخصصة لدراسة الحضارة الإسلامية بآدابها وفنونها فى كلياتها ومعاهدها .

### اولا : دراسة الانسان الغربى للاسلام :

لقد اتجه الإنسان فى الغرب إلى الدراسات الشرقية التى كثيرا ما صورها له جهابذة فكره ، أنها تخلف ورجعية ،وذلك مما نشروه من أضاليل وخرافات عن الإسلام ، ونبى الإسلام فى صور كثيرة ومختلفة لا حصر لها ، وتبلغ بهم الدرجة لأن يعكسوا الحقائق لأبنائهم عكسا تاما ، فالدين الإسلامى مثلاو هو دين التوحيد الخالص ، ودين التنزيه التام عن الشريك وعن الولد يشيعون عنه أنه دين عبادة الأوثان .

وأن الإسلام انتشر بالسيف والقوة والجبروت ، وقد دخل الناس فيه عنوة ، وقسرا .

مع أنه كان واضحا أشد الوضوح فى احترام إرادة الإنسان فى تكوينه لرأيه وتشكيله لفكره ، وتنميته لوجدانه وأحاسيسه ، فترك له حرية الاختيار إن شاء أن يؤمن ، وإن شاء أن يكفر حتى أن الحق تبارك وتعالى يقول :

« إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا » (١) .

نعم .. ترك له حرية الاختيار بعد أن وضع له معالم الطريق ودعاه إلى أعمال الفكر ، والتأمل فيما حوله من خلق وإبداع .

« قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ » (٢) .

ولكن لابد لى أن أتساءل .. هل انخدع الإنسان الغربى بما صوروه له من أباطيل ، وما قدموه له من افتراءات .

هل اقتنع حقيقة — بما كتبوه له من زيف وأحقاد ؟

أقول لا ، بل العكس من ذلك تماما ، فقد ظهرت له الكثير من الحقائق عندما درس الإسلام دراسة متأنية وعميقة ، لدرجة جعلته يؤمن به دينا للبشرية ، ومنهجا للحياة .

لقد رأى أن هذا الدين ليس على ما يصوره له المستشرقون من الانحطاط والتخريف ، فبدأ يدرس فى كثير من التدبر ، والروية هذا الشرق الذى كان لا يثير فى نفسه ونفوس إخوانه سوى النفور والاشمئزاز .

ويجب أن نعرف أن الرحلات الكثيرة قد أدت بدورها إلى الاتصال المستمر والمباشر بينه وبين الشرق وكانت عاملا فعالاً فى إزالة الكثير من الأوهام والخرافات التى علقت بذهن الإنسان الغربى عن الإسلام خاصة .

فماذا كانت نتيجة دراساتهم للشرق الإسلامى وإتصالهم به ؟ كانت النتيجة أن أصبحنا نسمع بعد ذلك مدح الإسلام وتعاليمه من كبار كتاب أوربا وفلاسفتها فمنهم من أعلن إسلامه دون تردد أو وجل ودون غموض أو مراءاة وجابه به بنى جلدته وأخذ يدعوهم إليه مكرسا وقته وجهده لنشر الإسلام .

---

(١) الإنسان — ٣

(٢) يونس — ١٠١

وصدق الشاعر إذ يقول :

إذا ما حلت الهداية قلبا نشطت للعبـادة الأعضاء

ومنهم من امتدحه ، واكتفى بذلك ، ولم يعلن إسلامه .

ولا أحد يعرف لماذا ؟

هل خانته شجاعته ، أم أسر فى نفسه شيئا ؟

ربما التمسنا العذر للبعض منهم فى ذلك، وخاصة إذا علمنا أن انتقام الكنيسة وعداءها لكل من يخرج على تقاليدها من الرهبة بمكان، بحيث يجعل كل مواطن أوربى يطيل التفكير ويمعن النظر كثيرا قبل أن يعلن رأيه ، وأنا لا أقول ذلك اعتباطا ويكفينى هنا أن أسجل مقالة « اللورد هدلى » الذى أعلن إسلامه فيما بعد :

إننى أعتقد أن هناك آلافا من الرجال والنساء أيضا ، مسلمون قلبا ولكن خوف الانتقاد والرغبة فى الابتعاد عن التعب الناشىء عن التغيير تآمرا على منعهم من إظهار معتقداتهم » .

**ثانيا : لماذا اتجه الغرب الى الاسلام :**

ولنا أن نتساءل بعد ذلك ، لماذا بدأ الغرب يتجه إلى الإسلام ؟ ولماذا بدأ أبناؤه يدخلون فيه الواحد تلو الآخر ، أوجماعة بعد جماعة ؟

والإجابة على ذلك سهلة وميسورة ، وليست بالعسيرة ، وواضحة لكل باحث ومحقق ولكل ذى رأى أو صاحب فكر ، ونجدها تنحصر فى أمرين هامين : الأمر الأول وهو موقفهم من المسيحية الحالية والأمر الثانى هو موقفهم من الأسلام بعد دراسته والاقتناع به .

**(أ) الأمر الأول : موقف الغرب من المسيحية :**

وقد تمثل ذلك فى رفضهم للمسيحية على اختلاف مذاهبها ، وتنوع عقائدها ، إنهم نشأوا من آباء مسيحيين ، وتلقنوا — بطبيعة الحال —

العقائد المسيحية نظريا ومارسوها عمليا ، وعمدوا ، وترعرعوا على عقيدة التثليث والصلب والفداء والغفران ، وعلى مر الزمن بدأت تستبين فيهم الفطرة بنقائها ، وصفائها ، وأخذت تصرخ فى أعماقهم ، وتشدهم إلى الحق وإلى الصواب ولابد وأنه قد أخذ يستولى عليهم بالطبع الشعور بالقلق والحيرة من الناحية الدينية ، ولكن ما العلاج لتلك الطبيعة الدينية القلقة ؟ وهذه النفس الحائرة ؟

ليس لذلك من علاج سوى البحث والتأمل ، وإطالة التفكير فى الكون وفى النصوص المقدسة ، وفى العقائد التى يدين بها ، والها أهلهم والبيئة المحيطة بهم ، وفكر الكثيرون منهم فى المسيحية ، وفى الكنيسة وفى البابا المعصوم ، وفى عقيدة التثليث ، والصلب ، والفداء والغفران . .

المسيح ابن الله . . ! ! ! وقدصلب ليطهر بنى البشر من اللعنة التى حلت بهم بسبب خطيئة آدم . . . ! !

إنه صلب ليفدى البشر . . ثم هو ابن الله وهو الله . . وهو بشر وهو اله [١] . . .

فبدأ رأس الإنسان الغربى فى الدوران ، ولا يكاد يرى بارقة من أمل فى أن يهتدى إلى الحق فى كل ذلك . . وهل فى ذلك من حق . . ؟

وهل فى الظلمة من نور . . . ؟ .

فرجع كل منهم إلى الأناجيل الموجودة بين يديه ، وبدأ فى قراءتها من جديد ، باذلا أقصى ما لديه من جهد محاولا أن يراها تتسم بسمة الحق والصواب ، ويحاول أن يقنع نفسه بكل هذا وذاك ، ولكن كيف يتأتى له ذلك ؟

---

(١) أوربا والإسلام . د . عبد الحليم محمود .

إنه لم يعد لديه الإستعداد لأن يخدع عقله ، ووجد انه بأوهام وخرافات تتنافى مع المبادىء السامية ، والخلق الكريم .

فمن أقوال السيد المسيح التى فيها حطة ، واحتقار لأمه العذراء البتول ما صدر منه فى عرس قانا » :

« وفى اليوم الثالث كان عرس فى قانا الجليل ، وكانت أم يسوع هناك ودعا أيضا يسوع تلاميذه إلى العرس ، ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له : ليس لهم خمر ، قال يسوع : مالى ومالك ياأمرأة » [١]

بطبيعة الحال لم يشعر الإنسان الغربى بالإرتياح لذلك .

وربما لم يصدق هذا الكلام من نبى ورسول وهو يخاطب أمه الطاهرة بهذا الأسلوب أوتلك الطريقة . نعم لم يكن من السهل عليه أن يؤمن بذلك وهو يرى القرآن يتحدث على لسان عيسى ابن مريم فيقول :

« وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا » [٢] .

ومن أقواله التى توجب كراهية الأقرباء :

«ان كان أحد يأتى إلى ، ولا يبغض أباه ، وأمه ، وامرأته ، وأولاده ، وإخوانه ، وأخواته ، حتى نفسه أيضا ، فلا يقدر أن يكون لى تلميذ » [٣]

وهذه أيضا ، ألا تتناقض مع ما يعلمه الإنسان الغربى عن المسيحية وتعاليم السيد المسيح —عليه السلام— من أن دينه دين المحبة والسلام ودين الرحمة والوئام ! !

ومن أقواله التى فيها اعتراف بالجهل :

---

(١) انجيل يوحنا ، الإصحاح الثالث عشر .

(٢) مريم — ٣٢

(٣) انجيل لوقا الإصحاح الرابع عشر .

« وأما ذلك اليوم وتلك الساعة ، فلا يعلم بها أحد ولا الملائكة الذين فى السماء ، ولا الإبن إلا الأب »[١] .

أيها القارىء الكريم : أليست هذه النصوص ، وما شاكلها من أقوال وأحاديث كفيلة بأن تبث الشك فى نفوسهم ، وتجعلهم فى حيرة من صحة الأناجيل التى بين أيديهم ، فساقهم ذلك إلى البحث فى صحة الأناجيل وفى قيمتها حتى من الناحية التاريخية .

وكانت نتيجة أبحاثهم :

« أنه لا شك أن الله قد أوحى الإنجيل إلى عيسى بلغته ولغة قومه ولا شك أيضا أن هذا الإنجيل قد ضاع واندثر ، ولم يبق له أثر ، أو أنه باد أو أنه قد أبيد »[٢] ، ولهذا جعلوا مكانه توليفات أربعة مشكوكا فى صحتها ، وفى نسبتها التاريخية .

نعم . . فتصفح الأناجيل وحده يكفى لإقناعنا بأن مؤلفيها قد توصلوا إلى ( تركيبات ) واضحة التعارض للأحداث والأحاديث نفسها مما يتحتم معه القول بأنهم لم يلتمسوا الحقيقة الواقعية ، ولم يستلهموا تاريخا ثابتا ، يفرض تسلسل حوادثه عليهم ، بل على العكس من ذلك اتبع كل هواه وخطته فى تنسيق وترتيب مؤلفه . . . » .

ولنستمع لرأى واحد من أبناء الغرب الذين من الله تعالى عليهم بالإسلام ، فكان من المهتدين ، ألا وهو « الفونس أتين دينيه » .

ذلك الفرنسى الذى كان مرهف الحس ، رقيق الشعور ، جياش العاطفة والذى سمى نفسه فيما بعد بناصر الدين ، نجده يقول فى نهاية المطاف وبكل وضوح :

---

( ١ ) انجيل مرقص — الإصحاح الثالث عشر .

( ٢ ) عن أشعة خاصة بنور الإسلام .

« إن الديانة الكاثوليكية لا تتحمل البحث والمناقشة ، وقد أظهرت الأدلة العديدة — سواء أكانت أخلاقية ، أم تاريخية ، أم علمية ، أم لغوية أم سيكلوجية ، أم دينية ، أن الكاثوليكية ، ملأى بالأغلوطات الواضحة » .

هذا بالضبط ما حدث للإنسان الغربى ، ثار شعوره الدينى على أوضاع مبهمة ، وألفاظ غامضة ، ومشاكل لا تحل ، وإن كان لها من حل ، فهى حلول لا يقبلها العقل الواعى ولا يسلم بها المنطق السليم .

نعم . . أحس أنه قد خدع ، وانتهى به المطاف بعد البحث والجدل والمناظرات الطويلة ، والتأملات العميقة إلى رفض المسيحية ، ولا بدو أن الحيرة قد بلغت أشدها أو مداها مع القليلين منهم ، وخاصة أولئك الذين أعلنوا إسلامهم فى وضوح وشجاعة دون تهيب أو مبالاة .

ولكننى على ما أعتقد فان اليأس لم يتطرق قط إلى نفوسهم فكل ذى عقل سليم ، أو فكر واعى ، موقن تماما أنه إذا لم يجد الهداية فى المسيحية فليس معنى ذلك أنه لن يجدها مطلقا ، فهو يعلم أن الحقيقة عزيزة المنال ولكنها قائمة وموجودة ، والسبيل إليها هو البحث والدراسة ، ولا بد وأن يتحمل مشاق البحث كى يصل إليها ، فان هذه المشاق وتلك العقبات أو الصعاب ما هى إلا الضريبة الحتمية والثمن الفادح لذلك .

فنجد مثلا « بابيه » أستاذ علم الاجتماع بجامعة السوربون قد اشترك مع زميلين له فى تأليف كتاب يهدف إلى إثبات « أن المسيح أسطورة ، وليس بحقيقة ، وأن انتشار المسيحية لم يكن إلا لأسباب سياسية بحتة » (١)

أقول ذلك نقلا عنه هو ، وهذا رأيه كعالم من علماء الاجتماع ، وإن كنا نحن المسلمين ، لا نتفق معه فى ذلك ، فان المسيح قد ثبت لنا كيانا واقعيا وحقيقة ثابتة كنبي ورسول إلى بنى إسرائيل عندما ذكر فى القرآن

---

(١) أوربا والإسلام . د عبد الحليم محمود .

الكريم بأجمل الصفات داعيا للبر بالوالدين ورسولا للمحبة والسلام . وسور مريم وآل عمران والمائدة وغيرها من السور قد تكفلت بإيضاح ذلك كله فى أكثر من موضع . . . .

أما الأستاذ « جنيبير » أستاذ ورئيس قسم تاريخ الأديان بالسوربون فقد أثبت فى عدة مؤلفات ذات شهرة عالمية بما لايدع مجالا للشك :

« ان المسيحية الحالية ليست هى مسيحية المسيح بل لا تمت إليها بصلة اللهم إلا الصلة الإسمية » .

ورجل كهذا حينما يتكلم أو يبحث فى هذا الموضوع ، فانما يتكلم فيه كعالم من علماء التاريخ ، وليس كعالم من علماء الدين أى أنه لا يتكلم باسم الأديان وإنما يتكلم باسم التاريخ ، وفرق بين وجهتى النظر .

إن الذى يتكلم باسم الإيمان النصرانى يتكلم وهو واقع تحت تأثير عقيدة معينة ألفها ، وتعودها ، وشربها مع ماء البيئة ، وتنفسها مع هوائها إنها إذن ـ التى توجهه وتتحكم فيه وتقوده ، أما المؤرخ الموضعى فانه يتجرد من كل ذلك ، ويدرس الموضوع بحسب الواقع التاريخى ، غير متأثر فى أحكامه بالعقيدة النصرانية .

وقد درس « شارل جنيبر » النصرانية دراسة المؤرخ المتعمق الباحث فى الآثار ، وفى مختلف المنابع التى تقوده إلى الحق ووصل شارل جنيبر فى نهاية دراسة بلغت نصف قرن إلى نتائج اطمأن إليها ، هذه النتائج يتفق بعضها مع بعض مع ما قرره القرآن الكريم وأنه ليسعد المسلم أن يعلم أن المؤلف النصرانى قد وصل ببحثه المجرد إلى ما قرره الإسلام فى جوهر النصرانية ، وفى صميمها ، والواقع أن النصرانية فى وضعها الراهن قد إنهارت إنهيارا تاما تحت قلم د . شارل جنيبير وخاصة مؤلفه « المسيحية نشأتها وتطورها »[1] الذى ترجمه فضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر السابق رحمه الله تعالى .

---

(١) تناولت مجلة الأمة القطرية هذا الكتاب عرضا وتحليلا فى عددها الأربعين يناير ١٩٨٤م .

لقد بين المؤلف أن مسيحية السيد المسيح عليه السلام كانت فى غاية البساطة ، وأن السيد المسيح عليه السلام كان يعلن التوحيد ويؤكد أنه عبد الله ورسوله ، وأنه بعث إلى خراف بنى إسرائيل الضالة أى أن رسالته كانت خاصة ببنى إسرائيل ، وكان هم السيد المسيح — كل همه — أن يدعو إلى الخلق الكريم ، يدعو إلى الرحمة والمحبة والتعاطف ولم يدخل قط فى تفاصيل العقائد، ولم يتحدث عن شريعة ، وبالتوحيد والخلق الكريم يتلخص جوهر دعوة عيسى عليه السلام ، أما النصرانية الحاضرة بكل ما فيها من عقائد وطقوس وشعائر فإنها غريبة وبعيدة كل البعد عن رسالة السيد المسيح عليه السلام .

لقد بين المؤلف أن النصرانية بدأت تنفصل منذ أن دخلها « القديس بولس » ، وأن عقيدة بنوة المسيح ، إنما كانت أثراً لخطأ فى ترجمة كلمة « عبد الله » التى يقولها السيد المسيح كثيرا . . .

كيف يترجم عبد الله ؟ أيترجمها « القديس بولس » بكلمة « طفل » أم يترجمها بكلمة « خادم » ؟

واختار بولس أن يترجمها بكلمة « طفل — طفل الله » .

وكان لذلك تغير هائل بالفكرة الدينية عن صورة الإله فى الفلسفة عادة وفى الدين النصرانى خاصة .

ولقد تناول د. جينيبير فكرة بنوة المسيح وفندها تفنيدا تاما بعد ذلك وبين أن الصورة الكاملة لله هى الصورة الدينية الموحي بها قبل النصرانية الحالية ، وهى الصورة الدينية التى صححها الإسلام فأعطى الصورة الصادقة التى أنزلها الله سبحانه وتعالى — على رسوله ﷺ لقد نفى « الدكتور شارل جينيبير » عن المسيح عليه السلام القول بالتثليث هذا القول الذى لا يفهمه النصارى أنفسهم ، ولا يفهمه كل من له عقل .

إن الثلاثة ليست واحدة كما يقولون ، وأن الواحد ليس ثلاثة كما يقولون وأى عقل يمكنه أن يفهم أن الثلاثة واحد ، والواحد ثلاثة ؟ . . .
ويقول الأستاذ الإمام الشيخ عبد الحليم محمود :

« كل هذا اللامفهوم بلا مفهوم جديد ، أنه يقول « أومن بالمسيحية لأنها دين غير معقول . ! !

وأنه حقيقة دين غير معقول .، أتعقل أن ينقلب الخبز إلى جسد المسيح والخمر إلى دم المسيح . .

فاذا أكلت الخبز وشربت الخمر حل فيك جسد المسيح ودمه واتحدت به ؟

إن هذا غير معقول . .ولكنه عقيدة النصارى . .

نعم . . لقد كان من الطبيعى أن يتجه الإنسان الغربى إلى العقل ليستمد منه الهداية إلى الطرية المستقيم ولكن انتهى إلى أن العقل عاجز فى ميدان ما وراء الطبيعة ، أو ميدان الغيبيات ، فأفاق من غفلته وعرف أن مذهب الحدس الذى يتهافتون عليه ، خلف داعيته وحامل لوائه المسيو « برجسون » هو عبارة عن رد فعل واضح لمذهب استقلال العلم بالمعرفة ، أو هو بالضبط رد فعل لعجز هذا المذهب .

إننا نستطيع أن نقرر فى وضوح أن المسيحية قد أخفقت حقيقة فى إرضاء ضميره الدينى ، وأخفق العقل وحده كذلك فى قيادته إلى النور فالام يتجه إذن ! !

**(ب) الأمر الثانى : موقف الغرب من الاسلام كفكرة وحضارة :**

هو أن الإسلام بكماله وشموخه وعظمة منهجه وسمو تشريعه كان أكبر عامل جذب الغرب إليه فلقد انتشر الإسلام بقوته الذاتية ، أكثر من انتشاره بآخرين من أتباعه .

نعم .. لقد وجد الإنسان الغربى أن الإسلام واضح وجلى فى كل مايقرر من شرائع وأحكام ، وأن تعاليمه سهلة وميسورة لا يشق عليه الامتثال لها وتنسجم مع العقل أيما انسجام ، فلا تتعارض مع رغباته وطموحاته فى الحياة وإنما تنظمها له ، والمصلحة عماد التشريع ووجد أنه دين يصلح لكل زمان ومكان ، ولا ينغلق على فكر معين أو يقتصر على رأى خاص ، فأدى ذلك كله إلى أخذهم بهذا الدين ، واعتناقهم له فى سرعة عجيبة ، وكثرة هائلة يوما بعد يوم .

لقد أحس الغربيون أن هناك تجاوبا فطريا ومنطقيا مع تعاليمه . ولننظر ماذا قال أبناء الغرب من المفكرين وغيرهم سواء الذين أسلموا منهم أو الذين أمتدحوه واكتفوا بذلك .

يقول أحد الذين أسلموا من الإنجليز ، ويدعى « شلدريك » فى أحد أعداد المجلة الإسلامية التى تصدرها الجماعة الإسلامية بلندن :

« ذلك لأنهم كانوا يلتمسون عقيدة سهلة ، معقولة عملية فى جوهرها لأننا نتبجح معاشر الإنجليز بأننا أكثر أهل الأرض تشبثا بالعمل، عقيدة تكون ملائمة لأحوال البشر جميعا ، وأعمالهم وعاداتهم ، عقيدة دينية صحيحة يقف المخلوق بها أمام الخالق بدون أن يكون بينهما وسيط » .

لقد أعجب الأوربيون بانتفاء الواسطة بين العبد وربه ، وارتاحوا لذلك كثيرا ، وخاصة العقول العملية منهم ،ولخلوه من الأسرار الغامضة التى تحير العقل ، وأيضا لبعده عن عبادة الأشخاص عامة والقديسين منهم خاصة فالبشر جميعا أمام الله سواء .

فلقد عرفوا ذلك ووعوه من قول الرسول ﷺ :

« لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى والعمل الصالح » [١] وعدم حاجة المسلم إلى الهياكل والمعابد لأن الأرض كلها شرقها ومغربها شمالها وجنوبها مسجد لله رب العالمين ، فأينما أدركته الصلاة يصلى .

نعم . . وجدوا الإسلام بصفائه ونقائه ، يأخذ بأيديهم إلى هديه وإلى نوره ، فيسموا بأرواحهم إلى حيث عالم الطهر والنقاء ، والمناعة والصفاء

إننى لا أقول ذلك باعتبارى مسلما ، يتعاطف مع دينه وعقيدته . . فهذا هو « شر فيس » يشهد بذلك ، ويعترف به بعد أن عرف قيمة الإسلام ولمس أجمل معانيه ، وأسمى قيمه بنفسه فيقول . : [٢]

« الإسلام يحقق أبلغ معنى لفضيلة الإيثار على النفس بأقل بحث فيها من الوجهة النظرية » .

نعم . . لقد صدق الرجل فيما قال ، فلابد وأنه قد قرأ قوله تعالى :

« وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » [٣]

فلا داعى للعجب إذن ، إذا ما دخل أبناء الغرب فى دين الإسلام فرادى وجماعات .

لقد درس " الكونت « هنرى دى كاسترى » الإسلام دراسة عميقة وكتب عنه كتابا قيما ترجم فيما بعد بعنوان « الإسلام سوانح وخواطر » [٤] سجل فيه رأيه فى الإسلام وإعجابه بنبى الإسلام ﷺ

---

(١) رواه البخارى والترمذى .

(٢) أوربا والإسلام . د . عبد الحليم محمود .

(٣) الحشر/٩ .

(٤) ترجمة إلى العربية المرحوم الأستاذ فتحى زغلول .

يقول الكونت :

« والعقل حار كيف يتأتى أن تصدر تلك الآيات من رجل أمى »
وقد اعترف الشرق قاطبة بأنها آيات يعجز فكر بنى الإنسان عن الإتيان بمثلها لفظا ومعنى آيات لما سمعها عتبة بن ربيعة حار فى جمالها ، وكفى رفيع عباراتها لإقناع عمر بن الخطاب فآمن برب قائلها .
وفاضت عين النجاشي بالدموع لما تلى عليه جعفر بن أبى طالب سورة مريم وما جاء فى ولاية يحيى » .

إن صدور مثل هذه الكلمات ، وتلك العبارات من رجل كهذا ، لأكبر دليل وأوضحه، على أن إسلام هؤلاء إنما كان بعد دراسة عميقة ومتأنية ولم يكن اعتباطاً أبداً .

يقول كادلايل — وهو أحد كبار كتاب انجلترا فى كتابه« الأبطال »[1]
ومن العار أن يصغى أى إنسان متمدين من أبناء هذا الجيل إلى وهم القائلين بأن دين الإسلام كذب ، وأن محمدا لم يكن على حق .

ثم يتساءل فى شيء من الإنكار :

« هل رأيت رجلا كاذبا ، يستطيع أن يخلق دينا ويتعهده بالنشر بهذه الصورة ؟ . »

نعم . . . إنه بعينه التفكير المنطقى الهادئ ، والعقل السليم الرزين ، الذى يتعانق مع الفطرة السليمة ، ويتجاوب معها . . .

ولا أستطيع أن أغفل رأى أديب وكاتب روسيا العظيم تولستوى ، عندما قال مدافعاً عن دين الإسلام ، لما رأى الحملة الظالمة عليه من بعض كتاب الغرب :

---

(١) ترجمه إلى العربية المرحوم الأستاذ / محمد السباعى

« لا ريب أن هذا النبي ، من كبار الرجال المصلحين الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلة ، ويكفيه فخرا أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق ، وجعلها تجنح للسلام وتكف عن سفك الدماء وتقديم الضحايا » .

ثم يقول : « يكفيه فخرا أنه فتح طريق الرقى والتقدم ، وهذا عمل عظيم لا يفوز به إلا شخص أوتى قوة وحكمة وعلما ، ورجل مثله جدير بالاحترام والإجلال » . .

ولقد عوقب تولستوى على رأيه هذا ، بأن حرمه البابا من رحمة الله ! !

هذا ما حدث مع تولستوى مع شهرته وعلمه ، فماذا لو كان هذا الذى أسلم من أبناء الشعب وعامته ؟ ؟ .

لا شك أنه كان سينال أقصى العقوبات وأردعها . .

ويقول اللورد « هيدلى » مشيداً بتعاليم الإسلام ومبينا سبب إعجابه به واعتناقه له :

« ليس هناك فى الإسلام إلا إله واحد ، نعبده ، إنه أمام الجميع وفوق الجميع وليس هناك قدوس آخر نشركه معه ، انه لمن المدهش حقاً أن تكون المخلوقات البشرية ذوات العقول والألباب على هذا القدر من الغباوة فيسمحون للمعتقدات والحيل الكهنوتية أن تحجب عن نظرهم رؤية السماء رؤية الواحد القهار ، المتصل دواما بكل مخلوقاته ، سواء كانوا عاديين أو أولياء مقدسين .

إن مفتاح السماء موجود دائما فى مكانه ، ويمكن إدارته بأذل وأقل المخلوقات دون أية مساعدة من نبى أو كاهن أو ملك ، إنه كالهواء الذى نستنشقه مجانا لكل خلق الله » .

لقد عرف اللورد « هيدلى » طريق التوحيد الخالص بفطرته النقية وعبر عنه بطريقة صوفية واضحة كلها طهر وصفاء ، وعلم أن الله موجود فى كل الوجود ، فهو معه أينما كان مطلع عليه يجيب سؤله ، ويقف بجانبه حيثما ذهب يرعاه ويحميه ، ثم إنه ليسجل سروره وفرحه بوقوفه أمام رب واحد وإله واحد لا شريك له وإننى لأعجب — حقيقة — من توصله لحقيقة من حقائق التقوى والإيمان فى ديننا العظيم ، وكأنه يشرح معنى قول الرسول الكريم ﷺ :

« رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره[1] » .

وذلك من عبارته السابقة عندما يقول ما معناه :

إن أقل المخلوقات شأنا فى نظرك ، ربما كان على صله عظيمة برب العالمين وأن باستطاعة هذا العبد الذليل الذى تستقله عينك ، أن يتصل بالله تعالى مباشرة دون الحاجة إلى عظيم أو كاهن ، ولا يمنعه عن ذلك حاجب .

و « اتين دينييه » ذلك المفكر والفنان المرهف الحس الذى أسلم لله رب العالمين عن طواعية واختيار بعد أن عرف قلبه طريق الهداية والنور نجده يعترف بكل صراحة وأدب :

« أنا لم أسلم لطمع أو مغنم — فالرجل غنى موسر الحال — وإنما أسلم إرضاء ليقينى وضميرى » .

إنه الصدق مع النفس والصراحة معها فهو لم يشعر بتلك الراحة أوهذه السكينة أو ذاك الهدوء ، أعنى بذلك — راحة النفس والضمير وسكينة القلب وهدوء البال — إلا مع الإسلام وتعاليمه السامية وقيمه الرفيعة .

ولا يمكن أن نغفل ذكر « رينية جينيو » هذا العالم والفيلسوف والمسلم الذى يعرفه كل الذين يتصلون بالدراسات الفلسفية والدينية الذى ألف كتاب

---

(١) رواه مسلم .

« الشرق والغرب » وحرمت الكنيسة قراءة كتبه تكريماً وتقديراً له كما قدرت كبار كتابها ومفكريها وعلمائها من قبل ! !

من أمثال جاليليو ومارتن لوثر وغيرهم .

ومع ذلك فقد خصصت له مجلة « فرنسا — أسيا » وهى مجله محترمة عددا ضخماً تشيد به وبآرائه ، وكذلك مجلة « ايتودتراد يسونيل » فقد خصصت له أيضاً عددا ضخما : —وكتب عنه الكاتب الصحفى الشهير « بول سيران » كتابا كبيرا كذلك عن حياته وآرائه ووضعه بجوار الإمام الغزالى بالنسبة لنا ، أو الحكيم أفلاطون بالنسبة للفكر الغربى .

لقد تسمى باسم الشيخ « عبد الواحد يحيي » بعد أن بهره نور الإسلام الساطع وغمره ضياؤه الباهر ، فاعتنقه وأصبح جنديا من جنوده يدافع عنه ويدعو قومه إليه ، وفند أباطيل خصومه فى كتاب « رمزية الصليب » وما كتبه فى مجلة « كايية دى سود » فى عددها الخاص بالإسلام والغرب .

ويقول الدكتور « جرينيه » المسلم الفرنسى الشهير والذى كان عضواً فى مجلس النواب شارحاً سبب إسلامه ومبيناً الطريق أمام إخوانه من أبناء الغرب .

« أسلمت لأنى تيقنت أن محمدا ﷺ أتى بالحق الصراح من قبل ألف سنة ، من قبل أن يكون معلم ، أو مدرس من البشر ولو أن كل صاحب فن من الفنون ، أو علم من العلوم ، قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما تعلم جيدا ، كما قارنت أنا . لأسلم بلا شك إن كان عاقلا خالياً من الأمراض » .

نعم . لقد علم الدكتور « جرينيه » من دراساته ، وتوصل من خلال أبحاثه ، أن ما من فن من الفنون أو علم من العلوم إلا وبإمكانه أن يقودنا إلى معرفة الحق تبارك وتعالى ، طالما وأن هذا البحث يتم بجدية وإخلاص ولا مقصد لصاحبه سوي الوصول إلى الحق والصواب دون هوى أو غرض .

**ثالثا : اسلام رجاء جارودى ودلالته فى هذا العصر :**

إن إسلام المفكر الفرنسى روجيه جارودى ، فى عصرنا هذا لأوضح دليل على استمرارية الزحف الإسلامى وتقبل الغرب للإسلام ، واقتناعه بمبادئه القويمة وتعاليمه السامية وارتضائه بها منهجاً للحياة وديناً للبشرية من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان إسلامه له مغزى كبير ، ومفهوم أكبر فمنذ أكثر من عام تناقلت الصحف نبأ إعلان المفكر الفرنسى الشهير « روجيه غارودى » إسلامه لم يكن حدثاً عادياً ، والحق يقال فهذا الرجل ذو عقل كبير ، متنوع الثقافة عميقها ، ليس هذا فحسب ولكنه بتحركه المعروف خلال ربع القرن الأخير كان يمثل تقليدا ثقافيا على الساحة الغربية ، أو بعبارة أخرى ، ظاهرة لم يكن هو سوى واحد من نماذجها الكبيرة .

نعم . فان تكوين جارودى كما هو معروف ، لم يأت نتيجة الصدفة أو اقتناص الفرصة من أجل القفز إلى الشهرة ، وإنما كان جارودى باحثا تعرف باستيعاب على أكثر من حضارة وجاب الفكر الإنسانى ماضيا وحاضرا وتعدد فى مصادره .

لقد أعجبنى حقيقة ما كتبه أحد المحللين لهذا الأمر وهو الدكتور عماد الدين خليل[١] ، وأحب أن أنقله لك أيها القارئ الكريم فعندما تحدث فى ذلك ، محللا وشارحا المغزى فى إسلام جارودى قال :

« ففيما بين الحربين العالميتين على وجه التقريب كان التقليد السائدهو توجه العقل الغربى المبدع القلق ، الباحث عن اليقين إلى الماركسية ومنذ بدأت الحرب ، طيلة العقود التالية ، بدأت عملية الارتداد بعد أن تبين لهذا العقل أن الماركسية لا يمكن أن تمنحه اليقين المنشود ، وكلنا يعرف رحلة رجال من أمثال أندرية جيد « وآرثر كوستلر » وريتشاردرايت « واكتاز سيلونى » « ستيفن سبندر » ، « ولويس فيشر » وغيرهم ممن انتموا للماركسية فكرا وتنظيما ، ثم ما لبثوا أن ارتدوا عنها أو بعبارة أخرى ، عجزت هى عن أن تلبى طموحهم للتحقيق باليقين المرتجى . فبعضهم عاد إلى مواقع الفكر

---

(١) مجلة الأمة القطرية العدد الأربعون ( يناير ) ١٩٨٤م .

الليبرالى المتهرئ المترع بالمتناقضات وبعضهم الآخر ظل يحلم بماركسية من نوع جديد ، فوجد نفسه يدلف إلى عالم اليوتوبيا والخيال الفكرى الحالم مرة أخرى . وفئة ثالثة ظلت تعانى القلق والاضطراب ، وتواصل سعيها من أجل العقيدة التى تطفئ ظمأها الملح فى عالم قفر غدا بالنسبة إليها أشبه بالصحراء التى لاأول لها ولا آخر (وقدتعرضنا لتلك الفئة سالفا بالتحليل وشرحنا الظروف التى كانت وما زالت تحيط بالإنسان الغربى من تعاليم شاذة وطقوس غريبة) .

أما جارودى فقد قدر على اجتياز المحنة ، وتحقق باليقين المنشود وكانت كتاباته منذ ( منعطف الاشتراكية الكبير ) تومض بمصير متفرد ، تعود الروح فيه لكى تعانق الجسد الذى يختنق يأسا ، وإلحادا فتبعث فيه الحياة والأمل من جديد .

إن أهم ماكان فى جارودى من خصائص مميزة ، والتى ساعدته على الانتباه من تلك الغفوة ، والصحوة من الحيرة ، والإحساس بالضياع الفكري واجتياز تلك المحن هو أنه كان صادقاً مع نفسه وعلى درجة كبيرة من الأمانة العلمية فى كل ما بحث وما درس من فكر وفلسفة .

من هنا يكسب إسلام جارودى أهمية من بين عشرات بل مئات وألوف يعلنون إسلامهم كل يوم فى مشارق الأرض ومغاربها .

ثم يتساءل الدكتور عماد الدين خليل قائلا :

أتراه بدء تقليد جديد ستشهده العهود القادمة من الزمن ؟

وإننى لأقول نعم . . ولم لا ، طالما وأن الواحد منهم أى هؤلاء المفكرين الغربيين ، لا ينشد سوى الحق ، ولا يريد غير الحقيقة ، ولا ييأس أو يمل وهو يسير فى طريقه وكله أمل ورجاء فى أن يهدأ باله ويستريح عقله وقلبه وكما قلت آنفاً ، فالمهم أن يكون أميناً مع نفسه وصادقاً معها .

ثم يطرح الدكتور خليل سؤالا آخر أو هو تقرير فى صيغة الاستفهام فيقول :

وهل أقدر من « الإسلام » على منح الجواب للعقول الكبيرة التى لم يكن بمقدور المذاهب الوضعية أن تمنحها ما تريد ؟

وأقول بالطبع لا ، فليس هناك دين على الأرض ، أو مذهب وضعى آخر يستطيع أن يعطى عطاء الإسلام المتزايد والمستمر إلى ما شاء الله رب العالمين .

ويقول بعد ذلك :

وها هى العقيدة القادمة من عند الله الذى يعلم من خلق ، الذى هو سبحانه أدرى بخلقه تحقق الاستجابة وتقود الحيارى إلى المصير المتوحد الذى يتوقون إليه .

لقد كان الإسلام دائماً قديراً على كسب أناس من مستويات حضارية متقدمة إلى صفه ، بل إن هذا التقدم الحضارى ، والنضج الفكرى لهو واحد من العوامل التى تدفع المثقف إلى إدراك أعماق لميزة هذا الدين وتفرده وقدرته على الاستجابة لمطالب الإنسان الحديث .

وإنها لمعادلة واضحة الأبعاد ، متكاملة الأطراف ، أن يملك هذا الدين القدرة على الكسب فى كل زمان ومكان وأن يلتقى مع مطالب الإنسان وأشواقه ، وحاجاته الأصيلة حيثما كان هذا الإنسان ، وأن يحمل قدرته على الحركة ، والامتداد فى قرن تاسع أو قرن عشرين .

وإذا كان الفرق كبيراً حقاً — فى المستوى الحضارى — ما بين الإفريقى الذى انتمى للإسلام فى القرنين الماضيين وبين الأوربى أو الأمريكى أو اليابانى الذى ينتمى إليه فى القرن العشرين ، فان ثمة قاسما مشتركاً أعظم تذوب معه الفوارق الحضارية والجغرافية والجنسية ، بل تذوب معه حواجز الزمان والمكان ، ذلك هو إنسانية الإنسان .

ولقد كان الإسلام وسيظل الصيغة الوحيدة للتعامل مع هذه « الإنسانية » وليس من قبيل الكـلام الذى يقال ، ولـكنها التجربة المعاشة التى شهدتها وتشدها أقطار العالم الأربعة .

ثم يخلص الدكتور خليل فى نهاية حديثه إلى نتيجة هامة فيقول : فليس بدعا من الأمر أن ينتمى عقل كبير كالمفكر الفرنسى المعاصر جارودى إلى هذا الدين ، الذى ظل وسيظل يتميز بقدرته الأبدية على الاستجابة لمطالب الإنسان فى القرن السابع الميلادى أو القرن السبعين .

وأنه لمن دواعى فخر المسلم وسروره أن يقرأ ما كتبه الأستاذ جمال بدوي تحت عنوان « لحظة صدق » [1] على لسان هذا المفكر الفرنسى المسلم « رجاء جارودى » إذ يقول :

« إن المشاكل الطاحنة التى يعانى منها الغرب ، هى أكبر دليل على إفلاس النظام الغربى ، وفشله فى تحقيق أى قدر من الاستقرار للمواطن ، ومن دراساتى للأديان المقارنة بعد حصولى على الدكتوراه بجامعة باريس كان الإسلام باستمرار له الأفضلية ، فالاسلام دين ودولة ، ولم يكن محمد ﷺ مجرد نبى ، وإنما كان أيضا رجل دولة ومشرعا وزوجا وأبا وتاجرا وقاضيا وقائد جيش .. وأخذت الرسالة النبوية أبعادا جديدة لم يكن من الممكن أن تأخذها وقت سيدنا عيسى عليه السلام فقد شملت العلاقات الاجتماعية دون أن تفقد أبعادها الروحية أبدا وقد قيل فى القرآن الكريم :

« إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ » .

هكذا كانت الخاصية القرآنية هى منهاج أخلاقنا للعمل ، فالإسلام رفض بتاتاً حياة الأديرة ، حيث التأمل هو السبيل الوحيد والهدف الأسمى .

---

(١) جريدة أخبار اليوم فى ١٩٨٤/٢/٢٥م – باب الفكر الإسلامى .

كانت تلك هى عظمة الإسلام وقوته وسر انتشاره المذهل ، فى أقل من ربع قرن كان الملايين من أبناء العالم شرقا وغربا يدينون به ، والإسلام لم ينتشر بقوة السلاح كما يزعم المستشرقون لقد دخل هذا الدين عقول البشر وقلوبهم ، فانتشر بسرعة مذهلة ...

وإلا .. فكيف يمكن لبضعة آلاف من الجنود مسلحين بإيمانهم تحقيق هذه الانتصارات الباهرة على أقوى الجيوش المجهزة ؟!

لقد احترم هذا الدين قوة العقل فى الإنسان وفى قدراته ، ومن ثم كان اعتناقى للإسلام عن إيمان وعن اقتناع بقدرته على حل المشاكل التى يعانى منها عالمنا اليوم » .

وإذا ما أردنا أن نتعرف ونقترب أكثر من فكر هذا الرجل العالم والفيلسوف ، فان الصورة سوف تتضح لنا من إجابته على بعض التساؤلات التى وجهت إليه فقد سئل :

ما الذى جذب المفكر العالمى النصرانى الراديكالى الشيوعى إلى الإسلام؟
فأجاب عن ثقة واقتدار : (١)

« أول ما لفت نظرى للاسلام التفتح ، فالإسلام هو دين التفتح دين التقبل الشامل ، فان كانت المسيحية قد ترافضت مع اليهودية وبالطبع ترافضت مع الإسلام ، فالإسلام قد تقبل وتفتح على الجميع ، وهذه قوة خالدة فيه هذا هو التفتح الأول ، أما التفتح الثانى فهو تفتح الإسلام على الحضارات البشرية ، فلم يقف عند حد التفتح على الأديان وإعطاء النموذج الكامل لها وإنما تفتح على الحضارات القديمة والحضارات البيزنطية ، وحضارات الإنسان فى كل مكان ، وهذا ما يجعل الإسلام موضع الرجاء ، لأنه يعطى نموذجا شاملا مدمجا لكل الثقافات البشرية ، دون تحيز أو تمييز . ومن هنا

---

(١) مجلة منار الإسلام . العدد الحادى عشر ١٩٨٣ م .

كان الإسلام الأمل فى المستقبل كحل ترتضيه الإنسانية ، حل لا بديل له لأنه أيضا يعطى إجابات متجددة وصالحة لتعبر كل العصور » .

وعندما سئل هذا السؤال :

« السيد رجاء جارودى . نريد أن نعرف شيئا عن حياتكم بأطوارها المتباينة فكريا ، فلقد انتقلتم من الراديكالية « الحفاظ الملتزم » ثم تزعمتم الحزب الشيوعى ، بل لقد وصلتم إلى أنكم كنتم الرأس المفكر والمنظر للحزب الشيوعى الفرنسى ، ثم اخترتم الإسلام . نريد أن نعرف شيئا عن هذه المسيرة ... ؟

فأجاب بوضوح وصدق :

نعم إن مسيرتى كانت طويلة لأن عمرى قد طال ، ولكنها تمخضت عن شيء متواضع ، وفى البداية أقلعت من أرضية نصرانية ، ثم تعاملت مع الماركسية كمنهج يحلل تناقضات المجتمع ، فى فترة محددة ، ومن هذا التكامل أى تكامل العقيدة النصرانية والمنهج الماركسى ، ما توقفت أبدا عن التعامل مع الكنيسة ، حتى حينما كان أحد أقطاب الحزب الشيوعى الفرنسى ، والمنظرين له ، إستمرت مراسلاتى مع البابا ، ولكنى مع الإسلام أكتشفت أن الإسلام استطاع أن يعطى هذه القدسية الخالدة المتمثلة فى العقيدة الالهية الحقة والوحدانية التى استراح لها القلب والعقل والكيان ، وأيضا منهج الحوار مع الإنسان ، ومحاولة تحليل التناقضات الاجتماعية ، وإعطاء إجابات متعلقة ومعقولة ومتجددة فكان طبيعيا أن أجد فى الإسلام ضالتى :

والإسلام فوق كل هذا فتح باب الاجتهاد على مصراعيه ، ولكن فى حضور القرآن دائما لحل مشاكل الإنسان ، وهذا ما نشاهده عند الأئمة الأربعة ومحاولة الإجابة على كل ما يجد من مشاكل الإنسان ، بفضل هذا القرآن الخالد الذى أعطى الانسان أروع قدرة ، وأروع عمق لمعرفة الإله وأيضا معرفة الإنسان ، ولولا الإسلام لأصبح الوحى الإلهى وحيا ميتا ، ولكن مع الإسلام سيظل الوحى الالهى دائما ، وحيا ثابتا ، ونشطا وحيا فى القلوب» .

**رابعا : الاسلام دين المستقبل :**

هذا ما أردنا أن نصل إليه من خلال هذه النظرة السريعة لموقف أبناء الغرب اليوم من الإسلام ولنعرف كيف وأن الإنسان الغربى قد اهتدى إلى الإسلام بعد طول بحث ودراسة ، وليست العاطفة وحدها هى التى قادته إلى الإيمان به كرسالة عامة وشاملة . وعلى هذا فاننا نستطيع القول بأن المستقبل للإسلام داخليا على الصعيد الإسلامى ، وعلى الصعيد العالمى بحول الله تعالى، فالى هــذا قــد أشارت التقارير الصادرة عن الدوائر الغربيــة أو الشرقية أو العربية أو الإسلامية — فما من يوم ينشق فجره ، أو تشرق شمسه فى مختلف بقاع العالم إلا ويشهد عودة جماعية إلى الله ودخول جماعات جديدة فى البلدان الأجنبية للإسلام . وذلك للأسباب الآتية :(١)

١ — إفلاس الحضارة الغربية القائمة على الرأسمالية الليبرالية التى تضحى بالجماعة والمجتمع مقابل الفرد ، والتى قسمت المجتمع إلى طبقتين متميزتين لا ثالث لهما ، طبقة البرجوازية حتى التخمة ، والفقيرة حتى العدم ، وما ترتب على ذلك من صراع طبقى وحقد اجتماعى ترسب مع الأيام نتيجة احتكار فئة البرجوازية لكافة المقدرات الحياتية لجميع أبناء الشعب بمن فيهم الفقراء ، وما تمخض عنها من قيم مادية متعفنة وفلسفات مادية أتخذت الإجرام والإدمان على المخدرات والهوى والشذوذ الجنسى طريقاً لها تحت شعار جماعات متعددة الأسماء والمسميات كجماعة الهيبز والباكنز وهاوى كريشنا وجماعات السلاسل الحديدية والبيتلز . . . ألخ .

مما أدى بالتالى إلى أزمة قيم وأزمة ضمير حادة لن تنتهى قبل أن تقتلع الأخضر واليابس فى المجتمع الغربى .

يقول « ليولا فلم دانز » فى كتابه « الإنسان والضمير المأساوى الممزق » « ان الإنسان المنتمى إلى عصرنا هذا لا يؤمن بشئ ولا يفكر ، إنه لم يفكر بعد

---

(١) من مقام للأستاذ محمود قطام بعنوان « المستقبل للإسلام » بتصرف . الوعى الإسلامى العدد ٢١٥ — سبتمبر ١٩٨٢م .

ولكنه يعلم كثيرا أن نهاية المسيحية تشمل أيضا نهاية الأيد ولوجيات الأخرى كالماركسية التى تجتاز من أجل ذلك أزمة عميقة وإن هذه الأزمة ليست أبدا علامة حياة بل علامة موت » .

ويرى المفكر « لا مونى » بأن الجنس البشرى بكامله يمشى بخطى حثيثة إلى الهلاك ، إنه فى النزع الأخير كذلك الإنسان الجريح المسكين الذى لا يرجى له شفاء ، فكثرة الأخطاء فى حضارتنا تجرها إلى الغرب .

ويقول د . عبد الله عزام سبب انهيار الحضارة الغربية واضح بسيط هو أنها قامت بلاد ين واتخذت ربها وراءها ظهريا .

ويقول « برنارد شو » الفيلسوف البريطانى الشهير :

« كنت أعرف دائما أن الحضارة تحتاج إلى دين وأن حياتها أو موتها يتوقفان على ذلك » .

اما « ألكسبس كاريل » فى كتابه الإنسان ذلك المجهول ، فيقول : « إن القلق والهموم التى يعانى منها سكان المدن العصرية تتولد عن نظمهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية فكأن البيئة التى أوجدها العلم للإنسان لاتلائمة لأنها أنشئت دون اعتبار ذات الإنسان » .

ويقول « برتراند رسل » : إن حيوانات عالمنا يغمرها السرور والفرح على حين كان الناس أجدر من الحيوان بهذه السعادة، ولكنهم محرومون من نعمتها فى العالم الحديث .

واليوم أصبح من المستحيل الحصول على هذه النعمة والسعادة »

أما « ماكنيل » فيقول : « إن الحضارة الغربية فى الطور الأخير من أطوار حياتها أشبه بالوحش الذى بلغت شراسته النهاية فى انتهاكه لكل ماهو معنوى وبلغ اعتداؤه على تراث السلف وعلى كل مقدس ومحرم قمته ، ثم نشب مخالبه فى امعائه، فانتزعها وأخذ يمزقها ويلوكها بين فكيه بمنتهى الغيظ والتشفى » .

أما « آرثر شو بنهاور » فقد وصف الحياة الغربية بإيجاز قائلا :
« إن الحياة تتأرجح من اليمين إلى اليسار من الألم إلى الملل،وليستغيث هذا الغرب المسكين الله إذا شاء ، إنه سيظل فريسا مصيره ، فالقدر لا يرحم»

ويقول شبنجلر « : إن للحضارة دورات فلكية تغرب هنا لتشرق هناك وإن حضارة جديدة أوشكت على الشروق فى أروع صورة هى حضارة الإسلام الذى يملك أقوى قوة روحانية عالمية نقية » .

ومن هنا يمكن القول أن المستقبل للإسلام فعلى سبيل المثال بعض البلدان التى كانت فى الماضى القريب جدا حاملة لواء الحروب الصليبية بدأ التيار الإسلامى يزحف إليها ، ففى بريطانيا ازداد الاتجاه الإسلامى بشكل لم يسبق له مثيل فقد ذكرت صحيفة صند اى أو بزيرفر البريطانية ضمن مقالة خصصتها عن الحركة الإسلامية فى بريطانيا « أن هناك ٥٠ ألف بريطانى اعتنقوا الإسلام ، وأن الدين الإسلامى يزداد شعبية فى بريطانيا حيث يعتبر الدين الإسلامى هو الثانى فى بريطانيا ، ومع ذلك لم تعترف الحكومة البريطانية به حتى الآن خوفا من أن يكتسح الساحة البريطانية » وفى أسبانيا وبعد هزيمة المسلمين التى مضى عليها زهاء سبعة قرون تم وضع حجر الأساس لأول مسجد فى أسبانيا فى التاسع من أكتوبر ١٩٨٠ م بالقرب من مدينة قرطبة التاريخية ، التى شهدت مجد الإسلام والمسلمين وحضاراتهم العظيمة الزاهرة ، كما ازداد عدد المسلمين فى سويسرا خصوصا مدينة جنيف حيث جرى مؤخرا بناء أول مسجد كبير لسد حاجة المسلمين هناك .

كذلك ازداد الإقبال على الإسلام فى الهند وفى أمريكا أيضا ، حيث ازداد دخول الزنوج الأمريكيين فى الإسلام .

٢ — تراجع الشيوعية الإلحادية حتى فى أقوى معاقلها عن العديد من المبادىء والمنطلقات التى اعتبرت أساسية فى فلسفتها ، كما حصل فى روسيا تحول شعار دكتاتورية البروليتاريا إلى شعار دكتاتورية الحزب والرجل الواحد

منذ عهد ستالين إلى عهد برجنيف ، ودكتاتورية العشيرة والعائلة الواحدة كما هو الحال فى رومانيا الاشتراكية حيث تسيطر عائلة شاوشيسكو على مقدرات الأمور فى رومانيا .

كذلك بدأ العد العكسى للشيوعيين فى العديد من البلدان الاشتراكية من خلال الثورات المضادة فى كل من تشيكوسلوفاكيا والمجر التى قمعت بالحديد والنار والعنف الدموى فى حينها . . كذلك سير يوغوسلافيا نحو الاستقلال بعيدا عن موسكو والتوجه صوب معسكر دول عدم الانحياز كذلك الحال فى بولندا التى تعيش الآن فى ظل أحكام عرفية بعد سيطرة الجيش على السلطة لقمع الاضرابات العمالية التى تنظمها نقابة التضامن على اعتبار أنها ثورة مضادة تهدد المكتسبات الاشتراكية .

٣ — زيف وتراجع المذاهب والتيارات القومية التى روج لها الأعداء والاستعمار بشكليه القديم والحديث ، فالقومية التى توهم المروجون لها أنها ستوجه العرب وتجعلهم أمة واحدة وتعيد للعرب مجدهم التليد ما فتئت تكرس الإقليمية والتجزئة التى خلفها الاستعمار ، وما برح دعاة القومية يقصرون نضالهم وكفاحهم ضد الاستعمار والإمبرالية ، والصهيونية من خلال التمسك بكراسى الحكم حتى الرمق الأخير من حياتهم وكأن النضال ضد الصهيونية والامبريالية يكون من خلال التشبث بكراسى الحكم وقمع كل حركة شعبية تطالب بضرورة العمل الإسلامى لتحرير الأرض والمقدسات .

٤ — صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان ، ونظرته العامة الشاملة لكافة المناحى الحياتية وثباته فى نهاية المطاف كدين ومنهج حياة متكامل من خلال الصراع الطويل مع المذاهب والايديولوجيات الأخرى ومن خلال مسيرة التطور الاجتماعى التى ستفرض البقاء للأصلح والأقوى والأنسب والأقدر على التكيف .

يقول « برنارد شو » الفيلسوف الانجليزى الشهير :

« إن انجلترا بل أوربا لواحتاجت إلى دين تتبعه لينقذها مما هى سائرة إليه من دمار محقق ودمار لا مناص لها منه، فليس أمامها إلا الإسلام ويضيف بعد ذلك قائلا :

« إنى أعتقد أن رجلا كمحمد لو تسلم زمام الحكم فى العالم بأجمعه اليوم لتم له النجاح فى حكمه ولقاده إلى الخير ولحل مشاكله على الوجه الذى يحقق السلام والسعادة المنشودة » .

ويقول « البر مشادق » من يدرى .. ؟ ربما يعود اليوم الذى تصبح فيه بلاد الغرب مهددة بالمسلمين يهبطون إليها من السماء لغزو العالم مرة ثانية وفى الوقت المناسب . . ويضيف : لست متنبئا ولكن الأمارات الدالة على هذه الاحتمالات كثيرة ولن تقوى الذرة ولا الصواريخ على وقف تيارها . . .

٥ — عودة الناس إلى الله عز وجل بعد خوضهم غمار تجارب عديدة فى الإلحاد والإباحية والفوضى والعبثية ، ولاقتناع البشرية الراسخ أن السبيل الوحيد للقضاء على الفراغ والعلاج الناجع لأمراض العصر يكون من خلال الايمان بالله ، الذى يؤدى إلى السكينة والطمأنينة مصداقا لذلك قوله تعالى :

« هُوَ الَّذِى أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا »[1] .

وبهذا الصدد يقول الفيلسوف الغربى « كارل ياسبرزان » :

« الإنسان فى حالة غياب مبدأ أو عقيدة يعتنقها يجد نفسه تائها ضائعاً وغيرها من حالات الوجود الحادة » .

٦ — الحتمية التاريخية والجدلية للاسلام ومصداقا لذلك قوله تعالى :

---

(١) الفتح — ٤

« يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِم وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ . هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ »[١] .

وكذلك تأكيد النبى محمد ﷺ وتبشيره بسيادة الإسلام على كافة البقاع حيث قال :

« إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتى سيبلغ ملكها مازوى لى منها[٢] .

وكذلك قوله ﷺ يبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدرولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل ، عزا يعز الله دين الإسلام وذلا يذل به الكفر »[٣] .

فمثل هذه التأكيدات الإلهية والنبوية لا تدع مجالا للشك فى أن المستقبل حتما لا محالة ، وهى فى ذات الوقت تطمئن القلب والنفس الإنسانية المضطربة وتبشرها بنور الإسلام من جديد بعد سبات عميق وظلام ظن البعض أنه سرمدى .

ومن هنا يبرز لنا الدور الخطير والمسئولية الضخمة الملقاة على عاتق أبناء الشرق الإسلامى ، ليرسموا الطريق ويمهدوه لأبناء الغرب فيقيلوهم من عثراته ، ويحققوا لهم السعادة التى ينشدونها .

وهذا هو موضوع حديثنا فى الباب القادم .

---

(١) التوبة — ٣٢ ، ٣٣

(٢) رواه الترمذى .

(٣) رواه أحمد .

# الباب السابع

## الطريق الى الله

---

اولا : دعوة الى الشباب المسلم فى كل مكان .

(أ) فضل الثقافة الاسلامية على الغرب .

(ب) كيف ندعو الغرب الى الاسلام .

ثانيا : علماء المسلمين ومكانتهم فى المجتمع !! .

ثالثا : نحو صحوة علمية سليمة .

رابعا : تعريب العلوم فى الجامعات .

# الباب السابع
# الطريق الى الله

بعد ما قدمنا من عرض موجز وسريع، لموقف الإنسان الغربي من الإسلام، وإيضاح دوافع إسلامه، وإيمانه به، فمن واقع المسئولية الهائلة الملقاة على عاتق أبناء الشرق الاسلامى، لا يسعنى إلا أن أوجه تلك الدعوة إليهم على صفحات هذا الكتاب، وكلى رجاء وأمل عظيم فى أن يستجيبوا لها ويؤمنوا بما أقول لهم :

**اولا : دعوة الى الشباب المسلم فى كل مكان :**

« يا أبناء الشرق الاسلامى العظيم — إننا كأفراد شعب عريق صاحب حضارة عريقة وغابرة، وأمة لها تاريخ نظيف ومجيد، أدعوكم بشئ من الرجاء عندما تبحثون فى معارف الغرب، وتنهلون من علومه أن تصحبوا معكم المنهج الربانى، وتجعلوه أمامكم، ليضىء لكم الطريق، ويقيكم من عثراته، أو يكون لكم بمثابة المجهر، فتنظروا من خلاله إلى أفكار الغرب وآرائه وفلسفاته، لتفحصوها به وتتمعنوها جيدا.

وألا تسلموا لكل ما يفد إليكم من الغرب من آراء وفلسفات، وألا ترفضوها جميعا، ولكن يجب علينا أن ننظر إليها بعين الاعتبار، وندرسها بشئ من الاعتدال فى الرأى والروية فى التفكير، وهدوء النفس دون تشنج أو صراخ أو عداء. فنأخذ منها ما فيه خير لمجتمعنا، وصلاح لدنيانا طالما وأنه لا يتعارض مع مبادئ ديننا الحنيف وثقافتنا الشرقية أو الإسلامية، أى نرفض كل ما فيه خبال للعقل، وضياع للفكر، وهدم لصرح الإسلام أو تقويض لمبادئه.

وأحب أن أسجل هنا تلك المقالة الهامة للمفكر الفرنسى روجيه جارودى حيث يقول فى هذا المعنى :

لامجال لانغلاق العالم الإسلامى على علوم الغرب ، وتقنياته ونحن نعلم أن الغرب قد استمد الطريقة التجريبية من العلوم العربية والإسلامية أيام ازدهارها فى جامعة قرطبة الإسلامية »

غير أن هذا الاستيعاب لا يمكن أن يكون مجرد تقليد لا غير ، بل إن دمج علوم الغــرب وتقنياته لكى تستخدم فى سبيل ازدهار العالم الإسلامى ، لا يمكن أن يكون الا انتقائيا وقائما على النقد والتمحيص . .[١]

أقول ذلك ، وأنا موقن تمام اليقين أن الإســلام بربانية منهجــه وعالمية رسالته ، غنى بما فيه الكفاية بكل شاردة وواردة ، فلم يترك لنا أمرا من الأمور الدنيوية أو الأخروية ، إلا وقد خاض فيه ، وأبان وجه الحق من الضلال فيما يعن للناس من أمور ، ولكنها النفس البشرية التى تسلك أصعب الطرق وأشدها وعورة ، تاركة السبل الممهدة للوصول إلى الحقيقة ، وكشف وجه الصواب فيها .

إنها طبيعة الإنسان التى تجعله لا يقنع بما بين يديه من علوم ومعارف ، وان أوصلته إلى هدفه المنشود، وغايته المرجوة والمقصودة فيترك كل هذا ، ويبحث عن الصعاب .

وأنا من رأيى أقول ، ربما كان ذلك منه ، لأنه خلق فى كبد ومعاناة دائمين متلازمين لزوم وجوده فى الحياة،فان الحق تبارك وتعالى يقول فى كتابه الكريم :

« لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِى كَبَدٍ »[٢] .

---

(١) مجلة الأمة القطرية العدد (٤١) (فبراير) ١٩٨٤م .

(٢) البلد – ٤ .

ثم أعود فأقول وربما كان ذلك نابعا من حبه للجدل وعدم قناعته ، ورضاه بالتوصل إلى نتيجة واحدة . .

يقول تعالى :

« وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا »(١)

نعم . صدقت يا إلهى فيما قلت ، وأبدعت فيما أحكمت ، فأنت أعلم بحاله من سواه .

فلنتعلم ، ولنقبل على دراسة الإسلام ، وتراثه الفكرى والحضارى — تراث الأوائل العظام — ذلك التراث العظيم الذى استلهمه الغرب فى نهضته ، وصحوته الكبرى من سباته العميق ، فخطا خطوات مسرعة إلى حيث المكانة السامقة ، والمقام الرفيع ، فى قيادة هذا العالم وتوجيه دفته .

**(أ) فضل الثقافة الاسلامية على الغرب :**

لقد تقدم الغرب وتخلفنا نحن عن الركب ، بعد أن كنا فى المقدمة منه ، ومع هذا فيجب علينا أن نعتز بإسلامنا ونفخر به كل الفخار نعتز بماضيه الذى كله فخار ومجد وعظمة وذكريات جليلة ، ورصيد ضخم من البطولات لا يوجد مثله لأية أمة من الأمم . نعتز بحضارتنا التى هى أساس كل الحضارات ، وأصل كل تقدم حالى ، وأن فضل الثقافة الإسلامية على الغرب ، واضح لكل باحث ومدقق ، ولا ينكره إلا حاقد موتور ، أو مدلس كذاب ، ولا يسعنى إلا أن أسوق اليكم — يا أبناء الشرق الإسلامى — تلك الكلمات لواحد من كبار كتاب الغرب ومفكريه وهو « رينيه جينيو » الذى كتب مقالا مستفيضا فى ذلك تحت عنوان :

---

(١) الكهف — ٥٤

« أثر الثقافة الإسلامية فى الغرب » [1] بين فيه فضل الثقافات الإسلامية على أوربا ، فيقول بعبارات صريحة وواضحة :

« ولولا علماء الإسلام وفلاسفتهم لظل الغربيون جاهلين بتلك العلوم زمنا طويلا ، ربما لم يدركوها كلية » .

ثم يقول بعد ذلك :

« أما عن العلوم ، فمن السهل أن نفرق بين العلوم الطبيعية والعلوم الرياضية ، فأما عن الأولى ، فانا نعلم علم اليقين أنها انتقلت بكلياتها وجزئياتها إلى أوربا عن طريق الحضارة الإسلامية مصبوغة بالصبغة الإسلامية تماما ، فالكيمياء مثلا احتفظت باسمها العربى الذى يرجع أصله إلى مصر القديمة ، والذى كان له معنى من أعمق المعانى التى لم يعرفها الكيمائيون الحديثون حقيقة » .

وعن العلوم الجغرافية وفضل المسلمين فى ذلك نجده يقول :

« ومن السهل جدا أن نوضح أن كثيرا من المعارف الجغرافية الخاصة بالمناطق السحيقة فى أسيا وأفريقيا عرفت من الرحالة العرب الذين ارتادوا كثيرا من الأقطار ، وحملوا معهم معلومات جمة » .

وأما عن الابتكارات والاختراعات وأثر المسلمين فى هذا المجال يقول :

« أما من ناحية الاختراعات — وهى تابعة للعلوم الطبيعية — فقد انتقلت أيضا بنفس الطريق — أى بواسطة المسلمين ، وما تزال قصة الساعة المائية التى أهداها الخليفة هارون الرشيد إلى الامبراطور شارلمان عالقة بالأذهان ثابتة الوقائع » .

---

(١) اوربا والإسلام . د . عبد الحليم محمود .

أما عن عالم الرموز والأرقام — أعنى بذلك علوم الرياضيات بأنواعها المختلفة — فيقول « رينيه جينيو » :

« أما عن الرياضيات ، فيجب أن نعيرها التفاتا خاصا ، وذلك لأهميتها فى هذا البحث ، فان ميدانها الواسع ، لا نرى فيه علوم اليونان فحسب بل نرى فيه أكبر الأثر للثقافة الإسلامية ، مضافا إليها علوم الهند أيضا لا بد وأن نعرف أن الأرقام التى استعملها الأوربيون هى نفسها الأرقام التى استعملها العرب ولو أن مصدرها الأول هو الهند فان علامات العد التى كان العرب يستعملونها قديما ما هى إلا حروف الهجاء نفسها » .

وفى مجال الآداب والشعر فإننا نلاحظ أيضا أن بعض كتاب الغرب وشعرائه قد تأثروا كثيرا ببعض كتاب المسلمين وشعرائهم وقلدوهم تمام التقليد ، فهذا « دانتى » فى كتابه « الكوميديا الإلهية » يستوحى أفكاره من رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى .

وأيضا فى مجال الفن ، وفن البناء المعمارى الذى كان له طابع خاص ، وأن المساجد المقامة فى قرطبة ( فى إسبانيا الآن ) وفى استانبول ( تركيا الآن ) وغيرها من قصور ومتاحف أثرية رائعة لتشهد بذلك ، وأنها لخير شاهد وأوضح دليل على ما كان للمسلمين من حضارة عريقة ومجد تليد .

يجب أن نعلم أن أكثر اصطلاحات علم الفلك الخاصة ، ما تزال محتفظة فى كل اللغات الأوربية بأصلها العربى وكما أن كثيرا من النجوم ، ما يزال علماء الفلك فى كل الأمم يطلقون عليها أسماءها العربية .

ولننتقل إلى واحد آخر من أبناء الغرب وهو « بريفولت » ، الذى قال فى كتابه « بناء الإنسانية » :

« إن روجر بيكون » درس اللغة العربية ، والعلوم العربية فى مدرسة أكسفورد على خلفاء معلميه العرب فى الأندلس وليس لروجر بيكون

ولا لسميه الذى جاء بعده الحق فى أن ينسب إليهما الفضل فى إبتكار المنهج التجريبى فلم يكن روجر بيكون إلارسولا من رسل العلم والمنهج الإسلاميين إلى أوربا المسيحية ».

ومن الثابت تاريخيا أن القسم الخاص من كتابه الذى خصصه فى البصريات هو فى حقيقة الأمر نسخة ـ من كتاب «المناظر» لابن الهيثم وكتاب بيكون فى جملته ، شاهد ناطق على تأثره بابن حزم .

هذه هى الحقيقة فى تراثنا الحضارى المجيد الذى تركه لنا الآباء والأجداد والذى شهد به الغرب أنفسهم .

**(ب) كيف ندعو الغرب الى الاسلام :**

إننا إذا ما أردنا أن ندعو الغرب إلى الإسلام وتعاليمه ، فيجب أن نوضح لهم حقيقة الأمور ، حتى لا يظلموا الإسلام عندما ينظرون إليه من خلال حال المسلمين ، ووضعهم اليوم .

وإننى لأكتب هذا على تلك الصفحات ويكاد القلب يقطر دما ، وكله مرارة وأسى ، وخاصة عندما أتذكر مقولة الثائر العظيم السيد جمال الدين الأفغانى فى هذا الصدد :

« إذا ما أردنا أن ندعو للاسلام ، فليكن أول ما نبدأ به ، أن نبرهن للغربيين أننا لسنا مسلمين » .

نعم .. لقد كان هذا المفكر الكبير ، والرائد الثورى والمجدد العظيم على حق كل الحق فى مقولته تلك فان بعض الغربيين انما يستمدون فكرتهم عن الاسلام من مجرد رؤيتهم للمسلمين ، وكيف يرونهم . يرونهم متخاذلين ضعفاء أذلاء مستكينين ، فرقت بينهم الأهواء الشخصية والشهوات الدنيوية .

قعدت بهم الصغار ، وانصرفوا عن عظائم الأمور ، واتجهوا إلى سفاسفها ، وقد أصبحوا مستبعدين مستذلين ...

وبطبيعة الحال أول ما سوف يخطر ببال الإنسان الغربى ويجول فى نفسه هو هذا التساؤل:

لو كان الإسلام دينا حقا فلماذا يتهاون فيه أهله هكذا ؟

ولماذا أصبح حالهم كذلك ؟ !

نعم .. يا أبناء الإسلام فى كل مكان ، لابد وأن يعمل كل منا فى موقعه لإعادة عصر النهضة والحضارة الإسلامية ولا تجعلوا صلتكم بالإسلام مجرد صلة إسمية وفقط .

فإن مجرد ادعائكم بأنكم مسلمون لايكفى بأى حال من الأحوال ، لأنه يكون له معنى حينئذ . ولكن الصلة الحقيقية بالإسلام ، إنما تكون بالعودة إليه ، وأن تنهل من منهله العذب الصافى النقى ، ونستمسك بتعاليمه ومبادئه حتى نكون مرآة حقيقية تعكس الإسلام بشموخه وعظمته.

لابد من العمل الجاد والمضنى لإحياء التراث الإسلامي ، ومسايرة كل تقدم مادى ورقى حضارى ، والمواءمة بين هذا وذاك ، لابد وأن نستفيد من حضارتنا الإسلامية ، ونعرف كيف نمت وأزدهرت ، ولماذا بلغت تلك المكانة المرموقة والمنزلة العظيمة .

**ثانيا : علماء المسلمين ومكانتهم فى المجتمع :**

نعم .. لقد كان الأمر كذلك ، وعلى هذا الحال يوم أن كان العالم أو الباحث يوضع فى مكانتكه الصحيحة من المجتمع ،وتحفظ له هيبته ، وتصان كرامته ويقابل جهده وفكره بالشكر والعرفان ، والاحترام والتقدير حتى إننا لنجد أن بعض حكام المسلمين أمثال المأمون بن هارون الرشيد وخلفائهم بلغت بهم درجة التكريم للعلماء والباحثين إلى أن يأمروا بأن يصرف للواحد منهم وزن مؤلفه ذهبا تشجيعا له وامتناناً لفضله وتقديراً لعلمه .

لا أن يعيش طريداً من وطنه، بعيداً عن أهله، فلا يجد سوى الغرب ملجأ يأوى إليه ، أو كهفاً يلوذ به ، حيث يعيش مكرماً معززاً بين أهله فيعطيهم خلاصة فكره ، وحصاد تجاربه، فيسبقنا الغرب بخطوات سريعة وواضحة . ونقف نحن إما متفرجين ومبهورين بالتقدم الحضارى المادى فى الغرب ، وإما مستوردين ثمرة جهد أبنائنا وفلذة أكبادنا فى الخارج ولا عجب أن تتحدث الصحف ووسائل الإعلام بين يوم وآخر عن «شخصية» كانت مفقودة من قبل هى شخصية العالم المصرى الذى يستطيع أن يقتحم الآفاق .

ولمصر خبرة سابقة فى علمائها الذين تجاوزا آفاقها وذهبوا وأستقروا فى أركان المعمورة ، بل ولمعت أسماؤهم هناك فوق أقرانهم !

وكما أسلفنا وقررنا فى بداية هذا الكتاب فان العلم لا وطن له ، وأن الشواهد والإحصائيات كثيرة تدلل كلها على أمر واحد هو أن العالم مهما كانت جنسيته لابد وأن ( يكافأ ) بمكانته الحقيقية حتى وإن كانت خارج بلده.

وبالنسبة لبلدنا الحبيب مصر .. ما لم تتمكن الدولة على نحو ما من ( استشعار) العالم المصرى الحقيقى لتبوئه مكانه الطبيعى تحت سماء بلده فإن من الممكن أن تفقده إلى الأبد . !

وإذا كان العالم المصري معذوراً فى أن يسعى إلى أى مكان يجد نفسه فيه استقراراً وأمناً وحماية وأجهزة ومجالات أيضاً فان فى وسع مصر الحديثة على هدى— ما تتخذه فى قراراتها بالنسبة للعلماء أن تستبقى عالمها ليضيف ليس فقط إلى سمعتها الدولية رصيداً ولكن ليشارك فى المقام الأول فى حل مشكلاتها وقضاياها الملحة .

. العالم المصرى لا يتأخر بالضرورة عن خدمة بلاده ولكن أن نقرأ

مثلا أن عالما هنا أو هناك فى أرضنا قد ( استفزه ) رؤساؤه الذين يطبقون الرو تين بكل حذافيره إلى حد ( استنفاره ) إلى الخارج ، فهذا فى حد ذاته أمر لا يليق بسمعة بلادنا ومكانتها ، بل وإمكانياتها المتطورة لو بقى هذا العالم أو ذلك . (١)

إن هذا واجب وحتمى لتصعد مصر فى مضمار العلم ، وبلا معوقات على أكتاف أبنائها حقيقة فهم بالضرورة مفخرتها وأملها الأول والأخير بدلا من أن تظل عالة على غيرها من الدول فى كثير من الصناعات .

والأمثلة على ذلك كثيرة ومتعددة ومعروفة ونحن فى غنى عن سردها وإننى ليحضرنى فى هذا الصدد كلمة قصيرة وموجزة وواضحة للأستاذ الشيخ محمد الغزالى فهى على إيجازها وقصر عباراتها إنما توضح لك ما أريده وما أعنى قوله يقول : (٢)

« انه لو قيل لكل شىء فى البلاد الإسلامية عد من حيث جئت لخشيت أن يمشى الناس حفاة عراة ، لا يجدون من صنع أيديهم ما يكتسون ، ولا ما ينتعلون ، ولا ما يركبون ولا ما يضىء لهم البيوت ، بل لخشيت أن يجوعوا لأن بلادهم ، لا تستطيع الاكتفاء الذاتى من الحبوب ... » .

أعود فأقول لشباب العالم الإسلامى : أن عصر ابن سينا والخوارزمى والفارابى ، وابن رشد وجابر بن حيان ليس ببعيد ، كذلك عصر الزهراوى وابن الهيثم هؤلاء العظماء الأبطال الذين نقل الغرب عنهم وأستفاد من تجاربهم وآرائهم الفلسفية ، والذين أضاؤا لنا الطريق ومهدوه ولم نستفد نحن من علمهم وأبحاثهم إلا بعد أن طورها الغرب ، واستغلها أحسن استغلال فى مختلف مجالات الحياة .

---

( ١ ) الأهرام القاهرية فى ٤-٥-١٩٨٤م .

( ٢ ) مجلة الأمة القطرية . العدد الأربعون . يناير ١٩٨٤م .

وإننى لأود أن أشير هنا إلى شىء هام لعله يذكر الناسين ويوقظ الغافلين :

لماذا نغفل ذكر هؤلاء الأئمة والعلماء والمفكرين والفلاسفة من أبناء الإسلام ولا نحتفل بذكراهم ، مع العلم بأنهم فخر الإسلام فى مختلف العلوم وشتى مجالات الحياة وهم الذين أثروا الإنسانية وقادوا البشرية إلى عالم النور وأنقذوها من ظلمات الجهل ، وغيابات الحيرة والضلال ، عندما بحثوا فى علوم الدنيا بجد وإخلاص متسلحين بعلوم الآخرة من فقه فى الدين وفهم لأمور الإسلام وتعاليمه .

إننى لتملكنى الدهشة وأعجب حقيقة عندما أجد العالم بأسره وبهيئاته العلمية المختلفة يحتفل بميلاد علمائنا ومفكرينا ، بينما نحن لا نعير الأمر اهتماما ، وكأن هؤلاء العلماء والمفكرين والفلاسفة من أبناء الإسلام من كوكب آخر ، ولا علاقة لنا بهم .

« فى عام ١٩٨٠م احتفلت البشرية بناء على قرار منظمة اليونيسكو بحلول ألف سنة على ميلاد أبى على بن سينا ، وقامت وكالة أنباء نوفوستى فى التعاون مع منظمات الاتحاد السوفيتى الاجتماعية والثقافية والعلمية والدينية والمنظمات النظيرة والأشخاص غير الرسميين فى دولة آسيا وأفريقيا والاتحاد السوفيتى بتأسيس جائزة دولية سنوية تحمل اسم العالم الموسوعى البارز للقرون الوسطى .

وقررت هيئة التحكيم الدولية المكلفة بمنح الجائزة — التى تتضمن الشخصيات الاجتماعية والكتاب والعلماء والشعراء والصحفيين المرموقين من دول آسيا وأفريقيا والاتحاد السوفيتى — قررت منح جائزة عام ١٩٨٣م إلى الأكاديمى « يضغينى بريماكوف » العالم المستشرق والسوفيتى البارز الذى قال فى حديثه لمراسل المجلة « ميرزا إبراهيموف » الرئيس المناوب لهيئة التحكيم :

« الحق أن الإسهام الذى قام به ابن سينا فى تطوير العلم العالمى والحضارة العالمية لا يقاس أبدا ، وتنحصر ضمانة خلود اسمه ومبدعاته فى إنسانية ورشد توجه تعاليمه ونشاطاته ونضاله ضد الجهل وقناعته الراسخةبقوةالعقلالبشرى وثقته العميقة فى أن مثل العدالة الاجتماعية العليا لا بد أن تنتصر فى نهاية المطاف »

ويسترسل العالم المستشرق فى حديثه مبينا مدى العناية الفائقة والاهتمام الكافى بالعلماء أمثال ابن سينا فيقول :

« أن التراث الثقافى الغنى جدا الذى تركه ابن سينا للبشرية جذب اهتماما مشددا لعلماء كل الحقب والشعوب .

« ويحاط اسم « ابن سينا » فى الاتحاد السوفيتى باحترام عميق، ويعكف على دراسة مبدعاته عدد كبير من مشاهير الأطباء والفلاسفة والمستشرقين ،

وقد صدرت فى الاتحاد السوفيتى مؤلفات ابن سينا العديدة وكتبت بحوث علمية تتناول نشاطاته المتعددة الأوجه » .

وتشكل خير تكريم لذكرى ابن سينا الإنسانى المشهور النشاطات الاجتماعية والدولية التى تتولاها منظمة « فاوند ايشن » الهندية ، وتأسست هذه المنظمة فى مطلع هذا القرن لأهداف خيرية ، نالت اليوم سمعة واسعة فى العديد من دول آسيا قبل كل شىء بفضل بحوثها العلمية فى ميدان صنع العقاقير على أساس وصفات الطب الشعبى التقليدى ، كما تدرس المنظمة دراسة واسعة تراث ابن سينا الإبداعى » .(١)

هذا بعض ما قام به العالم ومؤسساته العلمية من تكريم لعلماء الإسلام الأفذاذ من أمثال ابن سينا ، فماذا قدمنا نحن لتخليد أعمالهم والحفاظ على تراثهم وإحياء ذكراهم ؟ .

---

(١) المجلة السوفيتية — العدد الأول عام ١٩٨٤ م . مقال بعنوان « منح جائزة ابن سينا لعام ١٩٨٣م » .

**ثالثا : نحو صحوة علمية سليمة :**

وتلك نقطة هامة أحب أن أعرض لها ، وهى أننا إذا أردنا أن نصحو علمياً وتقنياً ، فعلينا أولا أن نعيد صياغة المعارف بتصور إسلامى صحيح وباللغة العربية ، وإننى لأحيى تلك الصيحات من بعض أساتذة الجامعات فى مصر فى شتى المجالات ومختلف التخصصات التى تنادى بتعريب الطب وغيره من العلوم وعلى ما أعتقد — فإننى لا أرى حرجاً فى ذلك ، بل سوف يساعد على اختصار فجوة التخلف ، واللحاق بالركب العلمى الذى وصلت إليه أوربا وأمريكا .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فإنه من الأهمية بمكان أن أنبه إلى شىء هام وخطير فى دور الجامعة فى تربية الشباب على فهم سليم وصحيح ، فأنا مؤمن تماماً بأن أحد الأسباب الرئيسية لتخلف جامعاتنا فى العالم الإسلامى — على كثرة إمكاناتها — أن هذه الجامعات لم تنطلق من منطلق إسلامى ، وليس لديها التزام خلقى فهى جامعات أسست على نظم غربية وفكر غربى .

أو إن شئت أن تقول . جامعات غربية فى أرض إسلامية .

وهذا بدوره أدى إلى نوع من الازدواجية عند الطالب بثقافته الإسلامية فى مناهجها ، وخاصة الفلسفية منها ، وبمفاهيم وقيم غير إسلامية ومن هنا كانت حصيلة نظمنا التعليمية ضئيلة للغاية ، ومن يخرج منها ثابتاً على دينه وفاهماً لرسالته فى الحياة قلة نادرة ، أما الكم الأكبر فإن العملية التربوية ذاتها تفسده (١)

---

(١) من حوار مع د . زغلول النجار أستاذ جيولوجيا البترول بالمملكة العربية السعودية بتصرف ، نشر بمجلة الأمة القطرية العدد ( ٤١ ) فبراير ١٩٨٤ م .

**رابعا : تعريب العلوم فى الجامعات :**

أما بالنسبة لمسألة تعريب العلوم فى جامعاتنا كما أشرت إلى ذلك من قبل ، فان لى وجهة نظر خاصة فى هذا الأمر ، وأرجو أن تكون موضع بحث ودراسة من المسئولين عن التعلم فى جامعات مصر وعالمنا الإسلامى والعربى كذلك .

أحب أن أقرر أن هذا الخلل الناشىء من التخلف العلمى والحضارى لأى شعب من الشعوب ليس من عيب فى البشر أنفسهم الذين هم من خلق الله بأى حال من الأحوال ولكن الخلل كله فى الظروف التى تحيط بالإنسان . والتى صنعها الإنسان بنفسه والتى أحيانا ما تحدث قسرا عنه .

أستطيع أن أقول بصوت مرتفع أنه لن يتحقق لنا ما نرمى إليه من تقدم فى أى علم من العلوم إلا إذا استطعنا أن ندرسه فى كل جامعاتنا ومدارسنا باللغة العربية وباللغة العربية فقط .

ولماذا لا نتعظ من تجربة أوربا نفسها فلقد نقلت الطب — وكان لا حظ لها من أولياته وأساسياته — عن العرب وعن الصينيين . فهل درست الطب فى جامعاتها بالعربية مثلا ؟

والأيام دول فاليوم أنت فى حال وغداً فى غيره ، وحضارة الإنسان ملك للانسان ، وكما نقلوا عنا الحضارة فى الماضى . فلا غرو أن ننقل عنهم اليوم وغداً حتى نتمكن من الوقوف على أقدامنا ونلحق بركب الحضارة وندخل فى موكب المنافسة والسباق .

ففى روسيا الآن يدرسون باللغة الروسية وقد حققوا تقدما لا ينكر ولهم علماؤهم الذين يحتلون بأسمائهم أماكن فى كل المراجع العلمية وفى فرنسا يدرسون بالفرنسية داخل فرنسا بل وخارجها كما فى المغرب وتونس والجزائر الآن مثلا وليست تلك دعوة لحركة عشوائية يتم فيها بين عشية وضحاها تعلم العلوم

باللغة العربية غير مدركين ما قد يترتب على ذلك من خطورة تسيء إلى التجربة أكثر مما يفيدها ، وقد تقضى عليها نهائيا ، ولا تجعل أحداً يفكر فيها أو حتى يتحمس لها بعد ذلك .

وإنى لفى عجب حقيقة من أولئك الذين يتهمون اللغة العربية بالعجز عن التطور واستيعاب العلوم الحديثة وبأنها ليست لغة عالمية وأقول لهم : إن هذا إفتراء ، نفاه علماء اللغة فى الغرب أنفسهم حينما قدم العالم «جونز» ، وجهة نظره فى التشابه الكبير بين اللغات السنسكريتية واليونانية واللاتينية والألمانية والسلافية واحتمال تفرعها من أصل واحد ، وقرر أن اللغة صنعة ووسيلة بل اختراع وليد حاجة الإنسان ، يختلف باختلاف الزمان والمكان وقابل للتغير والتطور والتبديل بحسب أحداث الحياة .

إن لغتنا العربية على تعدد لهجاتها وثرائها بالألفاظ المستحدثة والمستعارة ، إلا أنه من المسلم به أنها اللغة الوحيدة فى العالم أجمع التى تتميز بوجود كتاب بلور وسجل أحسن القصص والتعاليم الدينية فى قوالب لها أصولها ، وتراكيبها المستمرة التى ليس لها بديل . أعنى بذلك معجزة القرآن الكريم .

إذا لا عيب فى لغتنا العربية أبدا . بل انها قادرة أكثر من غيرها ، وأن التكنولوجيا التى يتهمون اللغة بعجزها عن إستيعابها إنما جاءت لتزيد من توسيع دائرتها ومن نشر عربية القرآن ، وفصاحته وفتح المجالات لمضاعفة الناطقين والقارئين باللغة العربية .

إن التدريس بالعربية أجدى وأنفع وأيسر ، أقول ذلك لأننى كنت أحس بمعاناة الشباب الجامعى فى استيعاب العلوم من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان الأستاذ المحاضر نفسه كان يلجأ قسرا للتحدث بالعربية لعجزه عن التحدث بالانجليزية ، فهو إن كان أستاذا فى الطب أو العلوم الكيميائية أو غيرها فهو

ليس أستاذا فى اللغة ، وكل ما يعرفه منها هو الألفاظ والمصطلحات العلمية ، ولذا فهو يلجأ للعربية إذا أراد التبسيط مثلا ، والتشبيه بأشياء فى المجتمع أوغيره مما لا يسعه معه إلا التعبير بألفاظ أدبية لا يملكها وصدق الحق تبارك وتعالى إذ يقول :

« وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ »(١)

أى أن كل نبي أو رسول كان يبعثه الله تعالى لدعوة قوم، إنما كان يبعثة بلغة قومه أو بلسانهم ، سواء كانت هذه اللغة هى العربية أو العبرية ... أو غيرها من اللغات المعروفة فى ذلك الوقت .

وقد كان الأمر على هذا ، لأنه أقرب إلى العقل وأدعى للتفاهم لبيان المقصود ، وشرح المراد وأمنـــا من حدوث خلط أو لبس فى الفهم أو الاستيعاب .

إننى لا أعنى بدعوتى إلى تعريب العلوم محاربة تعلم اللغات لأخرى ليس ذلك بالطبع . فان تعلم لغات الآخرين له فوائد جمة منها على سبيل المثال أن يأمن المسلم مكر أعدائه وشرهم ، واستعمالها فى مخاطبة أهلها والتعامل بها فى العلاقات السياسية والدبلوماسية بين الدول، وقد فعل ذلك الرسول ﷺ حينما أمر زيد بن ثابت الأنصارى النجارى أن يتعلم اللغة الإسرائيلية ليتولى الترجمة له ، حيث كان مترجما لرسول الله ﷺ بالفارسية والروسية والحبشية تعلم ذلك بالمدينة من أهل هذه الألسن وقال ﷺ

« من علم لسان قوم أمن من شرهم »(٢)

ولقد ثبت أن النبي ﷺ قد حث بعض أصحابه أن يتعلموا غير اللغة العربية ، لما دعت الحاجة إلى ذلك بعد انتشار الإسلام عن زيد بن ثابت قال

---

(١) إبراهيم – ٤

(٢) أسمى الرسالات للسيد عبد الحميد الخطيب مراجعة فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف

أتى بى النبى ﷺ مقدمة المدينة فقيل : هذا من بنى النجار ، وقد قرأ سبع عشرة سورة ، فقرأت عليه فأعجبه ذلك ، فقال : تعلم كتاب (كتابة) يهود فإنى ما آمنهم على كتابى ففعلت فما مضى لى نصف شهر حتى حذقته ، فكنت أكتب له إليهم ، وإذا ، كتبوا إليه قرأت له [١] .

وفى حديث آخر « عن زيد ابن ثابت قال : قال لى النبى ﷺ إنى أكتب إلى قوم فأخاف أن يزيدوا على أو ينقصوا ، فتعلم السريانية ، فتعلمتها فى سبعة عشر يوما » [٢] .

وبالإضافة إلى ما سلف ذكره وبعد أن عرفنا قيمة اللغة العربية وثراثها فلماذا لا نعتز بها ونفخر بها كل الفخر بأن تكون هى لغة التدريس بالجامعات .

أقول ذلك لأن اللغة هى أحد المقومات الأساسية والسمات المميزة لحضارة أى شعب من الشعوب أو أمة من الأمم . [٣]

وأخيرا أقولها كلمة صدق وإخلاص :

إننى واثق تمام الثقة من أننا لو أخلصنا العمل لله وتمسكنا بشرعه الحكيم فى كل نواحى حياتنا ، وحرصنا على إقامة مجتمع المساواة والعدل الذى يريده الإسلام ، لو فعلنا ذلك كله ، لا أقول دفعة واحدة ، بل خطوة إثر أخرى فأول الغيث قطر ثم ينهمر — لأمسكنا بالدفة لهذا العالم نوجهها حيث نشاء وبالطبع إلى ما يريده الله تعالى لنا من عزة وكرامة . نعم . إن فعلنا ذلك فإننا نكون قد سرنا فى الطريق السليم الذى بينه لنا الإسلام .

---

(١) رواه البخارى .

(٢) فجر الإسلام للأستاذ أحمد أمين الطبعة الثانية عشر ١٩٧٨ م .

(٣) من بحث بعنوان : مشكلة تعريب الطب فى البلدان الإسلامية والعربية بتصرف هيثم محمد الهادى عطية مجلة الأمة القطرية — العدد الأربعين يناير ١٩٨٤ م .

نعم . بهذا . نكون قد أنصفنا أنفسنا وحفظنا لمستقبلنا الأجيال التي تحقق رسالة هذه الأمة التي اختارها الله تعالى لتكون خير أمة أخرجت للناس. يقول تعالى :

« كُنتُم خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ »(١) .

نعم . سيعود للأمة الإسلامية كيانها ومكانتها بين أمم العالم وستسعد البشرية جمعاء ، وتنعم بتعاليم الإسلام السامية ، ومبادئه وقيمه الرفيعة .

« فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ »(٢)

والله الهادى إلى سواء السبيل .

---

(١) آل عمران – ١١٠

(٢) الرعد – ١٧

# اسماء المراجع


١ — القرآن الكريم .

٢ — صحيح البخارى

٣ — إحياء علوم الدين — للإمام الغزالى

٤ — مقدمة ابن خلدون

٥ — المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم — محمد فؤاد عبد الباقى

٦ — التفسير الموضوعى للقرآن الكريم — د . محمد البهى

٧ — أوربا والإسلام — د . عبد الحليم محمود

٨ — عقيدة المسلم — الشيخ محمد الغزالى

٩ — جمال الدين الأفغانى .. المفترى عليه — د . محمد عمارة

١٠ — الله — عباس محمود العقاد

١١ — فجر الإسلام — أحمد أمين

١٢ — أسمى الرسالات — السيد عبد الحميد الخطيب

١٣ — أعلام الفكر الأوربى « من سقراط إلى سارتر — عثمان نوية »

١٤ — النقد التحليلى للأدب الجاهلى — محمد أحمد الغمراوى

١٥ — الاختلاط بين الجنسين فى نظر الإسلام — محمد عبد الحكيم خيال

١٦ — أشعة خاصة بنور الإسلام ( ناصر الدين ) أتين دينيه «ترجمة راشد رستم»

١٧ — اليهودية — د . أحمد شلبى

١٨ — المسيحية نشأتها وتطورها — د . شارل جينيبير « ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود »

١٩ — بناء الإنسانية — بريف، لتا
٢٠ — الشرق والغرب — رينيه جينبو
٢١ — أزمة العالم الحديث — رينيه جينبو
٢٢ — الإنسان والضمير المأساوى الممزق — ليولد فلم دانز
٢٣ — (توماس كارلايل — مسيرة الحياة) — فريد كاريلان . نشر جامعة كامبريدج
٢٤ — الأبطال — كارليل
٢٥ — الإنسان ذلك المجهول — ألكسيس كاريل
٢٦ — شتاء الأحزان — جون شتاينبك
٢٧ — إنجيل يوحنا — الإصحاح الثانى عشر
٢٨ — إنجيل لوقا — الإصحاح الرابع عشر
٢٩ — إنجيل مرقص — الإصحاح الثالث عشر

المجلات :

١ — مجلة الأمة القطرية — الأعداد ٤٠، ٤١ يناير، فبراير ١٩٨٤م
٢ — مجلة الوعى الإسلامى — الأعداد ٢١٤، ٢١٥لعام١٩٨٢م٢٠٢-١٩٨١م
٣ — مجلة منار الإسلام — الأعداد الثامن — السنة الثامنة ١٩٨٣م والحادى عشر السنة الثامنة ١٩٨٤م .
٤ — المجلة السوفيتية — العدد الأول ١٩٨٤م .
٥ — جريدة الأخبار المصرية فى ٢١/١/١٩٨٢م، ٦/٩/١٩٨٣م، ٢٨/٢/١٩٨٤
٦ — أخبار اليوم — فى ٢٥/٢/١٩٨٤م
٧ — جريدة الجمهورية — فى ٢٢/٢/١٩٨٤م
٨ — جريدة الأهرام القاهرية فى ٣/١/١٩٨٢، ١٠/٢/١٩٨٤م، ٤/٣/١٩٨٤م، ١٦/٣/١٩٨٤م، ١٨/٣/١٩٨٤م، ٢٦/٣/١٩٨٤، ٩/٤/١٩٨٤م، ٤/٥/١٩٨٤م .

# فهرست

صفحة

## الباب الرابع

### مفكرو الغرب فى ضوء الإسلام

صفحة



## الباب الخامس

### الغرب وانهيار الحضارة المادية

## الباب السادس

### الإنسان الغربى والإسلام



## الباب السابع

### الطريق إلى الله

# شخصيات غربية

## كشف البحث فساد نظرياتها

١ — سقراط .

٢ — أرسطو.

٣ — أفلاطون.

٤ — أبيقور .

٥ — ديفيد هيوم .

٦ — بروكلي.

٧ — جون لوك .

٨ — كانت .

٩ — رينيه ديكارت .

١٠ — فرنسيس بيكون .

١١ — سيجمون دفرويد .

١٢ — توماس كارليل .

١٣ — طه حسين .

١٤ — زكي نجيب محمود .

( الترقيم الدولى ٧ - ٢٩١٩ - ٠٦ - ٩٧٧ )

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رئيس مجلس الادارة
**رمزى السيد شعبان**

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٦/٢٣٤٠

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
٥٢١١ — ١٩٨٥ — ٦٠٠٤




الثمن ٧٠ قرشا